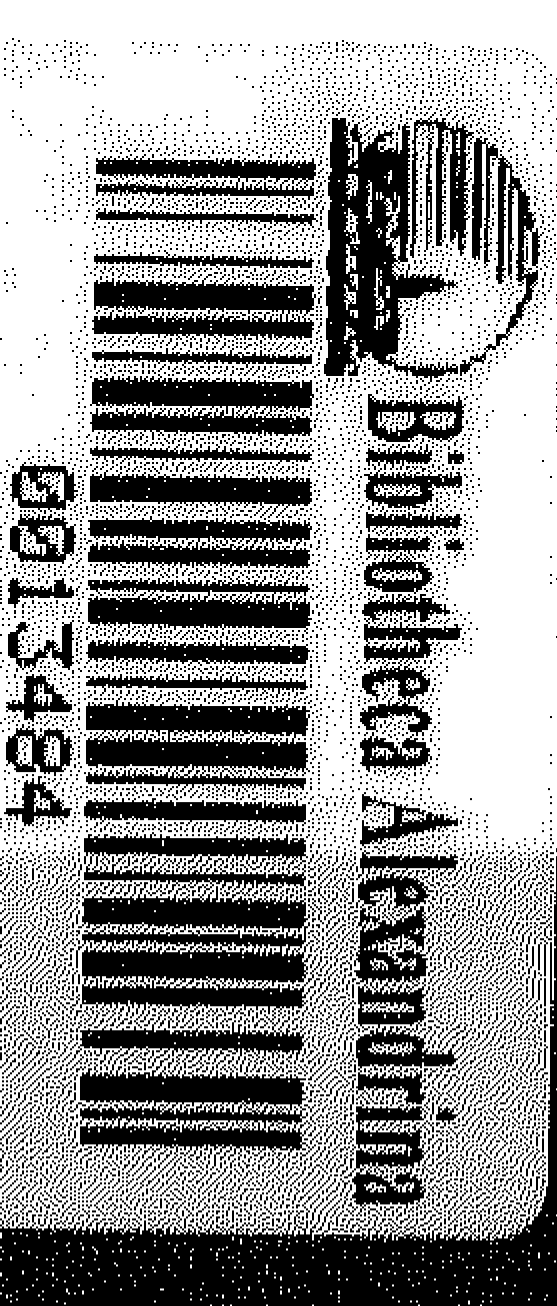
دار الثقافة

صاحب المكانة الأولى



تأليف: القس بخيت متى

صاحب المكانة الأولى

تأليف: القس بخيت متى



طبعة أولى

صدر عن دار الثقافة - ص . ب ١٢٩٨ - القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١٥ / ١٩٩٢
جمع فى سيويرس ت : ٩٠٢٦٦٧ - ٩٠٦٦٨٣
طبع بمطبعة دار نوبار للطباعة - شبرا - القاهرة .

تقديم

هذا الكتاب يضم بين دفتيه دراسة متعمقة، أوضحت معاني لاهوتية وكتابية كانت غائبة وخافية على الكثيرين فيما يتعلق بما ذكره الكتاب المقدس عن السيد المسيح من أنه: «بكر كل خليقة»، الذي هو أعلى من ملوك الأرض. لقد أفاض الكاتب شرحاً وتفسيراً لما وراء هذه الكلمات من معان ومدلولات لاهوتية، فضلاً عن تناوله بالإيضاح والتعليل للمقصود بكلمة «البكر» وما تحمله من معان عديدة في الإطار الذي وردت به في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

لقد جاء الكتاب على نحو يفيد منه كل دارس أو باحث، بل وكل من يريد أن يلم بجانب من حياة السيد المسيح ومكانته.

ولم يخرج الكتاب على هذا النحو إلا نتيجة التعمق في الدراسة، والجهد المشكور، من جانب كاتبه.

دار الثقافة

فهرس الكتاب

الموضوع | صفحة

تمهيد

للبكر في تعليم الكتاب شأن كبير: فمن هو البكر؟

لقد ورد لفظ البكر بعدة معان، كثير منها لا يخطر للبعض ببال. على أنني ما قصدت أن أكتب في هذا الموضوع لأبين شأن البكر، أو لكي أوضح معنى الكلمة فحسب، بل تجنباً لخطورة ما يترتب على إساءة فهم هذا الموضوع.

بعض التعليم إن اختلفتَ فيه حول المفهوم الصحيح كان الناتج شططاً فكرياً مجرداً. ولكن أحياناً يتعدى الاختلاف ذلك الشطط ويصل إلى الضلالة...

بل وأحياناً يتعداها إلى ضياع الإنسان، أي هلاكه.

وآمل أن يُقرأ الفصلان الأولان بعناية بالغة لأن ذلك يساعد القاريء على تفهم كل ما حوته بقية فصول الكتاب بشكل صحيح.

ولقد حاولت أن ألتزم بما يقدمه الكتاب المقدس توضيحاً لهذا الموضوع.

توضيحاً يصونه من الشطط والضلالة والضياع - توضيحاً يصون الامتيازات الروحية ويقدم بركات جزيلة.

والرب يباركك،

الكاتب

الفصل الأول

المغزى الكتابي للبكر

ورد لفظ «البكر» في الكتاب المقدس - بعهديه - بالمعنى الحرفي للكلمة وكذا بمعانٍ أخرى بكلا اللغتين العبرية واليونانية.

-١-

ولنبدأ قبل كل شيء بدرس المفهوم اللغوي للكلمة.

(أ) المعنى الحرفي: تعني كلمة (بكور) في العبرية و(بروتوتوكوسي) في اليونانية المولود الأول «فاتح رحم» (خر ١٣: ١٢) ومن دُعي بكراً في هذا العدد دُعي فاتح رحم في (ع ١٥) والعكس بالعكس. مما يدل على أنهما في عرف الكتاب ولغته مترادفان. وهذا ما نجده أيضاً في العهد الجديد (مت ١: ٢٥، لوقا ٢: ٢٣).

ولم تطلق هذه الكلمة قط على الابن الوحيد بل استعملت كلمة وحيد (يَحيد) (تك ٢٢: ٢، إر٦: ٢٦، عا٨: ١٠، زك١٢: ١٠) وكلمة (مونوجينيس) لو٧: ١٢، ٩: ٣٨، يو٣: ١٦ و١٨، ١يو٤: ٩ وعلى الابنة تطلق كلمة وحيدة (يَحيدا) (قض١١: ٣٤، نش٦: ٩).

وهذا المعنى الحرفي للبكر (أول المولودين - فاتح الرحم) يستخدم سواء بالنسبة للبشر أو البهائم.

(ب) **المعنى المجازي:** وهناك معان مجازية اشتقت من المعنى الحرفي ذاته. وهي تعبر عن صفات يغلب وجودها أو توقعها في المولود الأول، ومنها:

١- أول القدرة (مز٥٠١: ٣٦، تث٢١: ١٧، تك٤٩: ٣). والمقصود أول قدرة والد ذلك الابن البكر: ابن شبابه وموضع فخره منذ ولد.

٢- المفضل والمقدم (تك٤٩: ٣ و٤)، وخير ما عبر عن هذا المعنى كلمات يعقوب عن ابنه رأوبين: «أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة، وفضل العز»، هذا هو الموضع الطبيعي له سواء تمتع به أو حرم منه (ع ٤).

وفي هذا المعنى قصد يوسف أن يصحح موقف أبيه يعقوب من ابنيه منسى وأفرايم: ورغم أن يوسف وضع ابنه منسى عن يمين يعقوب وأفرايم عن الشمال، إلا أن الجِد وضع يديه متقاطعتين (حرف X) بحيث أتت الشِمال على منسى. رأى يوسف في هذا مخالفة لأن البكر هو المقدم والمفضل توضع عليه اليمنى لكن هذا كان بوحي من الله... إلا أن هذا لا ينفي أن المعنى الأصلي لكلمة «البكر» يتلوه معنى اصطلاحي هو «المقدم المفضل».

لهذا فقد يقصد بكلمة «بكر» معناها الاصطلاحي وليس الحرفي بل «المفضل».

٣- كذلك اشتق من المعنى الأصلي معنى مجازي آخر هو «الرأس أو الرئيس: صاحب السيادة». وهذا يظهر من القاعدة المتبعة وقتها أن يكون البكر رئيس الأسرة وسيدها بحيث لو طرأ شيء آخر بخلاف ذلك، نُبّر على معنى السيادة في البكر. فيروي الكتاب أنه «كان لحوسة من بني مراري (احدى

عشائر اللاويين) بنون: شمري الرأسي، مع أنه لم يكن بكراً جعله أبوه رأساً» (أي ٢٦: ١٠) أي أنه كان من المفروض أن يكون البكر هو الرأس لكن الرياسة أخذت منه وأعطيت لشمري وبالتالي البكورية.

وذات الشيء حدث بالنسبة لعيسو. فهو البكر وكان المفروض أن يكون الرأس. لكن عيسو باع البكورية ومن اشتراها صار الرأس. وفي نص كلمات إسحق إلى ابنه عيسو: «إني قد جعلته سيداً لك» (تك٢٧: ٣٧) ثم أكد ذلك بقوله: «ولأخيك تستعبد...» (ع ٤٠).

وبهذا يكون معنى البكر: السيد، الرئيس، الرأس. إذا لم يقصد بالكلمة معناها الحرفي.

(جـ) المعنى الرمزي: والأغلب في هذا أن تكون الكلمة كناية عن معنى ما، وليس عن الأولوية. مثال ذلك:

١- الفعال القادر وذلك ما قاله بلدد الشوحي عن الضربات التي تحل بالشرير ومنها: «يأكل أعضاءه بكر الموت». والمقصود بها الدود ويسمى الدود بكر الموت بمعنى أنه أخذ عن الموت قدرته على إحلال الفناء بالأجساد المائتة (أي ١٨: ١٣).

٢- الحقير (بكر الجارية) خر١١: ٥ - ويمتنع المعنى الحرفي.

٣- الذليل (بكر الأسير) خر١٢: ٢٩ - ويمتنع المعنى الحرفي أيضاً.

فالبكر هو المولود الأول، أول القوة. وقد يقصد بهذه الكلمة: المفضل،

الرئيس سواء كان المولود الأول أو لم يكن كذلك. فالمهم إذاً في البكر هو مقامه وأفضليته ورئاسته.

-٢-

فهيا بنا إلى بعض التأملات عن مقام البكر ومسئولياته:

سبقت الإشارة إلى أن البكر هو أول القدرة بالنسبة لأبيه، سند هذا ما ورد في الكتاب عن اعتزاز الآباء بأولادهم الأوائل. حتى الرب تظهر في كلماته نغمة الاعتزاز هذه حين يقول «إسرائيل ابني البكر»، وحين ينتقم له: «ها أنا أقتل ابنك البكر...» (خر٤: ٢٣). وهذا معناه: من حيث أنك لم تطلق أعز من عندي، ها أنا أقتل أعز من عندك! ويفهم ذات المعنى من قول يشوع في لعنه من يبني أريحا: «ببكره يؤسسها وبصغيره ينصب أبوابها» (يش٦: ٢٦)، وقد تحقق ذلك فعلاً (١مل ١٦: ٣٤).

ويتساءل النبي بلسان حال أي خاطيء «هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي»(ميخا٦: ٧)، وواضح هنا أنه يعتبر هذا أكبر تضحية يصنعها مع «آلاف الكباش وأنهار الزيت».

حتى رأوبين، وعيسو اللذان حُرما البكورية (سنتناول هذا فيما بعد) نالا مدحاً... ولنر البكر، كبكر سواء كان أول المواليد في الأسرة أم لا... فهو ينال نفس الإعزاز.

البكر رأس الأسرة بعد وفاة الأب أو في غيابه إبان حياته. كلمته هي السائدة، وهو الذي له الحل والربط. إنه ممثل الأسرة. إذا اجتمعت مع أسر أخرى،

هو الذي له حق عقد المعاهدات، ومنه تُخطب أخته. وهو الذي يطلب يد عروس لأخيه الأصغر عندما لا يوجد الأب. هو باديء الحرب إن حدث غزو أو اقتحام لأسرته. هو الذي يعول أخواته غير المتزوجات، وإليه تعود أخته إذا طلقت.

البكر هو كاهن الأسرة يقدم عنها الذبيحة، ويرفع عنها الصلاة... عندما ينال حق البكورية يتقلدها ببركة من أبيه، ومفهوم أن الله أمن عليها.. أي أنه سيد الأسرة أمام الله والناس.

البكر: سيد إخوته هو الأول وكلهم في الصف الثاني يأتمرون بأمره، وفي سلطانه أن يبطل رأيهم. لا يقدر أحد أن يفعل شيئاً قبل إذنه أو أمره. لهذا السبب تذكر كلمة بكر بعد الاسم الأول من قائمة أولاد الأقدمين (تك. ١: ١٥، ٢٢: ٢١، ٢٥: ١٣، ٣٥: ٢٣، ٣٦: ١٥).

-٣-

وحيث امتاز البكر مقاماً، وثقلت مسئولياته إلا أنه في مقابل ذلك كانت له امتيازات يبز فيها إخوته.

أولاً: أنه ممنوع حرمانه من الميراث (تث ٢١: ١٥-١٧) .

ثانياً: ينال نصيب اثنين أي ضعف أي فرد من الورثة الآخرين. وواضح أن هذا لكي يغطي نفقاته الي نجمت عن مسئولياته كرئيس أسرته وخاصة نحو أخواته اللاتي لم يتزوجن.

ثالثاً: ينال بركة خاصة عند مباركة أي من الآباء لأولاده (تك٢٧: ٤). وقد

كانت هذه هي البركة التي أعدها إسحق «لبكره» (ع ٢١) وهي بركة خاصة فيها يسود «البكر» ويستعبد «الآخرين» (ع٢٧ - ٢٩).

رابعاً: هو وارث الملك إذا كان من النسل الملكي (٢أي٢١: ٣).

خامساً: الأفضل هو البكر، وأي تجاهل لذلك اعتبر شذوذاً. تجاهل عيسو ذلك، فصار عدواً ليعقوب (تك٢٧: ٤١-٤٥)، ولم يراع إسحق ذلك حتى صار «يرتعد» من هول ما حدث (٢٧: ٣٣). وفسر ما حدث بأن «قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك» (ع ٣٥) وفسر عيسو ذلك بأن «تعقبني الآن مرتين، أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي» (ع ٣٦) وظن يوسف أن أباه أخطأ فقال: «ليس هكذا يا أبي لأن هذا هو البكر ضع يمينك على رأسه» (تك٤٨: ١٨) إلا أن سبباً خاصاً هو الذي جعل الأصغر «بكراً». «مفضلاً» (ع ٢٠). وسيأتي حديث عن هذا في ما بعد.

ومجرد الاعتبار كبكر كان امتيازاً. فإن يعقوب صار بكراً. رغم أنه لم يرث شيئاً من ممتلكات إسحق إذ عاش غريباً في بيت خاله وقت مات أبواه كلاهما.

- ٤ -

الأول، الأفضل، يعطى المقام الأول، البكر، يكرس قدساً للرب.

هكذا أمر الرب بالنسبة لبكر «الناس» و«البهائم»:

(أ) بكر الإنسان: وأبكار «بنيك تعطيني» (خر٢٢: ٢٩) وعندما وُلد أول

مولود بشري (المفروض أنه بكر آدم) دعي «الرب»[1] ذلك أن أمه توقعت فيه «النسل» الذي يسحق رأس الحية وينتقم لها منها. وطبعاً بعد ذلك «النسل» أي شيء باطل، لذا دعي الابن الثاني «هابيل» = باطل (تك٤: ٢).

وسرى ذلك الاعتبار بأهمية البكر منذ ذلك الحين. فلما جنح الإنسان إلى الوثنية قدم النسل «الرب» البكر للإله الذي يعبده باعتبار أنه يقدم أعز ما لديه. إن ما جاء في تساؤل ميخا: «هل أعطي بكري عن معصيتي؟» (ميخا٦: ٧) كان ممارسة عادية بين الأمم ضمن عباداتهم الوثنية.

إلا أن الرب وصف ممارساتهم بقوله «قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم» (تث١٢: ٣١). ورغم أن الرب نهاهم عن هذا، لما فيه من تدنيس لاسم إلههم (لا١٨: ٢١) وتوعد من يفعل هذا بأنه سوف يجعل وجهه ضده ويقطعه من شعبه (. ٢: ٢ و٣)، فإذا لم تعاقبه عشيرته بالموت فإن الرب ضده وعشيرته أيضاً (ع ٤ و٥).

وحين طلب الرب من إبراهيم أن يصعد ابنه وحيده إسحق محرقة لم يكن يقصد ذبح إسحق بل قصد امتحان إيمان إبراهيم. وكان في أمر الرب ذاته التعبيرات التي قصدها الأمم بأبنائهم: المحرقة، المرتفعة (الجبل)، ولكن الله منع إبراهيم أن يفعل ذلك وفدى إسحق بكبش (تك ٢٢: ٢-١٤).

---

(١) النص العبري «وولدت قايين وقالت إقتنيت رجلاً للرب»
ولقد زيدت الكلمتان «من عند» عند الترجمة لغرض صيانة المؤمنين من الشطط الذي وقعت فيه حواء.. لكن ما أوردته كان هو النص العبري.

ونفذ يفتاح نذره بتقديم ابنه محرقة للرب (قض١١: ٣٠-٣٩) إلا أن هذا كان نذراً خطأً وتنفيذه خطأ وفكرته تعلمها يفتاح من رجال بطالين في أرض طوب (قض١١: ٣).

أمر الرب «قدس لي كل بكر»: إنه للرب على أنه بكر الحيوان الطاهر يذبح، وبكر الحيوان غير الطاهر من حيواناته يفدي بشاة، وإلا تكسر عنقه. وبكر الإنسان يفدي بشاة - هذا بالنسبة لحياة البكر.. ولكن لا زال البكر ذاته للرب بعد تقديم الذبيحة وقد أمر الرب بفدية أخرى لملكية الرب لبكر الإنسان من الشعب القديم. بأن خصص اللاويين لخدمة الرب (عد٣: ٤٠-٤٨).

البكر للرب.. وحين يستذنب أورشليم يقول لها «أخذت بنيك وبناتك **الذين ولدتهم لي** وذبحتهم لها طعاماً» أي للأوثان (حز١٦: ٢٠)، ذلك أن الأبكار ولدتهم أورشليم للرب: حق الرب. فأخطأ آحاز إذ اتبع عادة «رجاسات الأمم» (٢أخ٢٨: ٣).

وقد استنكر الرب على لسان إرمياء هذه الذبائح البشرية، قائلاً عنها: «الأمر الذي لم أوصهم به ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس» (إر٣٢: ٣٥) واستنكرها على لسان حزقيال معتبراً إياها نجاسة تحرمهم من حق سؤال الله (حز٢٠: ٣١).

البكر للرب «حياته تفدى بذبيحة لكنه يبقى خادماً للرب قدس له، محرم على غيره.

(ب) بكر الحيوان للرب (خر٣٤: ١٩-٢٠) الذكر الطاهر يذبح للرب إلا إذا

كان فيه عيب فلا يذبح للرب. والنجس يفدي بشاة.

ويسري هذا على الحيوانات الطاهرة أنيسها والبري منها.

(جـ) وبكر الزرع (الباكورات) أيضاً للرب «من أول كل ثمر الأرض... ونقول... فالآن هأنذا «قد أتيت بأول ثمر الأرض التي أعطيتني يارب...» (تث٢٦: ١-١١).

و«تصنع لنفسك عيد الأسابيع (الخمسين) أبكار حصاد الحنطة، وعيد الجمع في آخر السنة» (خر٣٤: ٢٢-٢٦) وقد طلب الرب أن تقدم الباكورات «فريكاً مشوياً بالنار جريشاً سويقاً مع بعض الأطياب» (لا٢: ١٤-١٦).

أمر الرب أن يقدم له باكورة العجين (عد١٨: ١٢) وباكورة ثمار الشجر (لا١٩: ٢٣-٢٥).

- ٥ -

البكر، والباكورة لهما هذا المغزى الأفضل، وتكريسه للرب يعني: أنني أعطي ما يمثل الكل. اعترافاً بفضل الرب، وحقه في الكل.

وإمعاناً في التعبير عن الأفضل استعمل تعبيران آخران:

(أ) أول أبكار أرضك (خر٢٣: ١٩، ٣٤: ٢٦).

(ب) أوائل كل الباكورات، فهذا يعني إما القطفة الأولى أو أفضل الباكورات جميعاً: وهذه بالذات للكاهن إذ أن الرب هو نصيبه. فله أفضل الأفضل.

الفصل الثاني

بكر لا يتفضل

«.. أنت بكري قوتي وأول قدرتي. فضل الرفعة وفضل البر. فائـــراً كالمـــــاء لا تتفضـــــل!» (تك٤٩: ٣ و٤)

«.. مع أنه لم يكن بكراً، جعله أبوه رأساً» (١أخ٢٦: ١٠)

أبكار نزعت عنهم البكورية، وغير أبكار صاروا رؤساء..

البكر هو المفضل.. ولكنه أحياناً لم يُفضل بل فُضل آخر عليه.. طبعاً هنا أقصد بكر الإنسان. وأريد هنا أن نعرف من؟.. كيف..؟ ولماذا؟

-١-

روعي تفضيل البكر من القدم وهذا ظاهر من ذات الكلمة وورودها في الأسفار المبكرة جداً. بل حتى أول مرة ترد كلمة «بكر» عن الإنسان (تك١٠: ١٥) تدل على أنها تقليد روعي من قبل، وكانت تقال أيضاً عن البهائم منذ عهد هابيل (تك٤: ٤) ورغم أنه لم يوجد النص الصريح الذي يؤكد وجود أمر بهذا، لكن من موقف الرب من هابيل وقبول تقدمته الدموية وبالذات من الأبكار.. وعدم قبولها من قايين..

يبدو أن تعليماً إلهياً كان قد صدر بذلك. كما أننا نلاحظ بركة ولعنة نوح -

التقديم والتأخير، السيادة والعبودية تدل على ذلك. وحتى هذه اللحظة لم تكن الكلمة ذاتها قد وردت في الكتاب ومع ذلك ذكرت أحداث روعي فيها تفضيل بكر غير البكر، كما أن أقدمية الميلاد لم تُصيّر البعض أبكاراً.

إلا أنه في الناموس ورد الأمر الصريح (تث٢١: ١٥-١٧) بأن:

(أ) المولود أولاً هو البكر.

(ب) يرث نصيب اثنين بالنسبة لميراث أي فرد آخر.

(جـ) لا يُقدم عليه أحد.

(د) في أسر تعدد الزوجات قديماً تعطى البكورية لمن ولد أولاً دون بكر أم أخرى محبوبة. فإن تفضيل الأم لا يتبعه تفضيل بكرها إذا كان له أخ من أم أخرى قد سبقه زمناً.

أي يأمر الناموس بأن يفضل البكر باعتبار قدم مولده. ذلك لأنه «أول القدرة»: لهذا فهو «فضل الرفعة وفضل العز»، ولهذا يأمر الناموس بأن يتفضل..

وبكر أم مكروهة لا يضيع حقه.. فيقدم عليه آخر، هكذا كانت وصية الرب في الناموس. إلا أنه كانت هناك استثناءات لهذه الوصية بحكم إلهي أيضاً. ليس أن الله يناقض نفسه، بل الله هو رب الناموس، لقد سن الناموس وبقصده وعنايته يفعل ما يريد. إلا أن هذا أيضًا يتم نتيجة أمور تدخل في إطار مسئولية الإنسان.

-٢-

ويليق بنا أن نلقي نظرة إلى استثناءات العناية الإلهية بالنسبة لتقديم الأصغر ليكون بكراً.

(أ) حدث أن حُرم بكر من بكوريته لأنه استحق اللعنة بسبب عمل شائن أتاه.

المفروض أن يبارك البكر. بل وله بركة خاصة وعندما يبارك لا يُلعن بعد ذلك.

وضمن المبادىء الكتابية أن المبارك لا يُلعن والملعون لا يُبارك. وأريد أن أوضح هذا المبدأ قبل أن نسير في بركة البكر:

* بارك الله آدم وحواء.. ولكن عندما أخطأ الإنسان لم يلعنه الله لأنه سبق أن باركه بل لعن «الأرض بسببه» (تك٣: ١٧).

* لم يكن قايين قد بورك فلما قتل أخاه هابيل لُعن قايين: «ملعون أنت من الأرض...» ولم يمكن أن ينال بركة بعد هذه اللعنة (تك٤: ١١).

* بارك الله نوحاً وبنيه الثلاثة فلما أتى حام عملاً أحمق وشائناً (تك٩: ٢٢) لم يلعنه أبوه لأنه مبارك، ولعن كنعان (ع ٢٥: ٢٧). ومفهوم أن كنعان هو بكر حام (تك٩: ٢٢) فتأخر كلاهما (١٠: ٦).

* خاف يعقوب أن يفتضح أمره لدى أبيه وعلى حد تعبيره «وأجلب على نفسي لعنة لا بركة» (تك٢٧: ١٢)، لكن أمه طمأنته قائلة «لعنتك عليَّ

ياابني» (ع ١٣)، ذلك لأنها تعلم أنه إذا بورك فلن يلعن. وهذا ما حدث فعلاً فبعدما بارك إسحق يعقوب وعرف الخدعة التي حدثت لم يلعن يعقوب بل قال: «فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليَّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته. نعم ويكون مباركاً». (ع ٣٣).

* وكذلك في بركة من بورك (يعقوب) لعن أخوه (عيسو) ولهذا لم يجد بركة.. والسبب ليس أن إسحق له بركة واحدة وقد استنفذها يعقوب بل لأن عيسو لُعن ولا يمكن أن يُبارك. قال عيسو «أما بقيت لي بركة؟ فأجاب إسحق وقال لعيسو. إني قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه إخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر فماذا أصنع لك يا ابني؟» (ع ٣٦ و٣٧). وما قاله له بعد ذلك أيد اللعنة (ع ٣٩ و٤٠).

* استأجر بالاق بلعام لكي يلعن إسرائيل. وقد حذر الرب بلعام: «لا تعلن الشعب لأنه مبارك» (عد٢٢: ١٢) ونطق بلعام ببركة ثلاث مرات (عد٢٤: ١٠).

فإذا حلت لعنة على بكر قبل أن يُبارك حُرم من البكورية، لأن البكورية والبركة كلاهما مرتبطان ببعض. وتوبة عيسو لم تُجده شيئاً ولا دموعه (عب١٢: ١٧). فخسارة الواحدة تتلوها خسارة الأخرى.

ضيعت البكورية لعنة من الرب لقايين، واستحقاق لعنة من نوح لحام (لاحظ أنه لم يلعن لكن ضاعت البكورية باستحقاق اللعنة وقد لعن كنعان).

(ب) باع عيسو البكورية أو في كلمة أخرى «تضيع يكورية من يفرط

فيها».

(جـ) عند قصد إلهي خاص سواء أفصح عنه أم لا، وقد تظهر بوضوح مسئولية الإنسان وقد لا تظهر لكن يبين الكتاب أن لله قصداً.

١- مثلاً في ضياع بكورية عيسو جانب «بشري» هو استهانة عيسو ذاته (عب١٢: ١٦) وجانب «إلهي» هو قصد الله (رو٩: ١١ و١٢، تك٢٥: ٣٤).

٢- أخَّر منسى بن يوسف وقدَّم أفرايم. ولا يعرف مسئولية بشرية هنا ولكن يعرف قصد الله (تك٤٨: ١٩-٢٠).

٣- إسرائيل بكر الرب (إر٣١: ٩، خر٤: ٢٢) ليس لسبب في إسرائيل بل في قصد الرب (تث٧: ٧-٨).

-٣-

ويحسن بنا أن نلقي نظرة شاملة على أمثلة من استثناءات العناية فيما يتعلق بالأبكار الذين حرموا البكورية.

(١) رفض قايين (الأول) وصار بدله شيث بكراً (تك٤: ١١، ٥: ٣).

(٢) رفض حام (ودعي الأصغر تحقيراً) وصار بدله سام بكراً (تك٩: ٢٤ و٢٥، ١٠: ١) (في ١٠: ١ يرد اسم سام أولاً تكريماً. وفي ١٠: ٦، ١أخ١: ٨ وتأخر ذكر كنعان تحقيراً).

(٣) رفض إسماعيل (تك١٧: ١٨-٢١، ٢١: ٦-١٣) وصار إسحق

بكراً.

(٤) باع عيسو البكورية (تك٢٥: ٣٣-٣٤) وصار يعقوب بكراً (تك٢٧: ٣٦).

(٥) رفض رأوبين من البكورية (تك٤٩: ٤) ووزعت بكوريته (سنتعرض لهذه النقطة في حينه).

(٦) أزيح منسى من البكورية وصار أفرايم بكراً (تك٤٨: ١٥-٢٠).

(٧) وضعت علامة القرمز على يد زارح باعتباره أولاً. البكر ولكنه رد يده فخرج أخوه فارص أولاً وصار البكر (تك٣٨: ٢٧-٣٠).

(٨) أدونيا أكبر أولاد داود الأحياء باعتراف سليمان (١مل٢: ٢٢) وقد حدثت حركة سياسية وعسكرية وشعبية (١مل١) لتمليكه (ع ١٥) ولكن الْمُلك أعطي لسليمان (أي صار البكر) «لأنه من قبل الرب صار له» كما قال أدونيا ذاته (١مل٢: ١٥) (انظر ١أخ٢٢: ٩ و١٠، ٢٨: ٥-٧).

(٩) وشمري بن حوسة من بني مراري «مع أنه لم يكن بكراً جعله أبوه رأساً» (١أخ٢٦: ١٠).

(١٠) الشخص الوحيد المذكور اسمه من سلسلة الإنسان الأول قبل الطوفان، واضح أنه اختير بكراً منه يأتي النسل الموعود والشعب الموعود والملك الموعود والمخلص الموعود، وترك كل إخوته حتى دون ذكر أسمائهم (تك٥). كل من هؤلاء يذكر عمره وقت ميلاد ابنه المسمى ولا يذكر هل قبله كان بنون أم لا.

لكن من الوارد عن آدم حتى شيث نفهم أنه كان قبل شيث ابنان هما قايين وهابيل. والأرجح أن من قُدموا فقد قُدموا باختيار النعمة لهم أبكاراً، وتأخر من كانت ولادتهم أولاً.

-٤-

أما عن البكورية في شعب إسرائيل فكان توزيعها كالآتي: (انظر ١أخ٥: ١-٢): لم تعط البكورية لرأوبين بسبب خطيته التي ذكرت كلما ذكر هذا الموضوع (تك٤٩: ٤، ١أخ٥: ١-٢) فكيف وُزِّعت البكورية ومفهوم أنها من ثلاثة مواضيع:

(١) أعطى الميراث ليوسف. فورث نصيب سبطين، إذ دُعي أفرايم سبطاً، ودُعي منسى آخر. وكلاهما من أولاد يوسف (تك٤٨: ٥-٦، يش١٤: ٤).

(٢) أعطي المُلك ليهوذا.. وهو السبط الذي منه داود ونسله وهو السبط الذي منه ابن داود: المسيح حسب الجسد (تك٤٩: ٨-١٠، ١أخ١: ٢، مي٥: ٢).

(٣) أعطى الكهنوت للاوي فقد عَدَّه الله بديلاً عن الأبكار الذين استحياهم الله: أبكار إسرائيل حين ضرب أبكار مصر. فصار لاوي السبط الكاهن ونصيبه نصيب الرب (عد٣: ٤٤-٤٦، ٥-١٠).

-٥-

صار المعنى الإلهي للبكر: المفضل، المبارك، الرئيس بغض النظر عن أولوية ميلاده.

وفي نور العهد الجديد، حيث ليس هنا لنا مدينة باقية (عب١٣: ١٤) وأننا هنا غرباء، وأن ميراثنا الحقيقي في السماء (عب١١: ١٣-١٦، ١بط١: ٤). وبعدما صارت امتيازاتنا سماوية لا أرضية وغير منظورة، أبدية، فالأولى بمعنى البكر هو المعنى المجازي، وليس المعنى الحرفي، وامتيازات البكر بناء على النعمة وليس بناء على الميلاد الجسدي.

الفصل الثالث

"بكر كل خليقة" كو١: ١٥

في الرسالة إلى أهل كولوسي قاوم بولس الرسول هرطقة كانت في بداءتها في وقته ثم استشرت في آسيا الصغرى بعد ذلك، تلك كانت هرطقة الغنوسيين. وضمن المعتقدات الفاسدة التي نشرتها ما سمي بالنشوء الإلهي الذي بني على أن المادة أصل الشر فجعلوا بين الله والعالم المادي وسطاء للخليقة: طغمات من الملائكة كلما بعدت عن الله زادت علاقتها بالمادة فخلقت طغمة أخرى حتى خلقت الأخيرة الكلمة خالق العالم... فقاومها الرسول بالكلمات: «فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق» (كو١: ١٦) وأن الرب يسوع «قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (ع ١٧) أو أنه «بكر كل خليقة» (ع ١٥).

وهذه الكلمات «بكر كل خليقة» أسيء استخدامها وحملت معنى غير معناها، وأخذت سنداً إلى ضلالات أخرى حيث أخذت على أنها تعني أول الكائنات المخلوقة.

هكذا استخدمها أريوس في ضلاله في القرن الثالث وقبله الأبيونيون وبعده السوسينيون. وجميعهم أنكروا لاهوت المسيح. وجميعهم رفضت المسيحية تعاليمهم. وفي أيامنا هذه نشأ آخرون على ذات الدرب مثل شهود يهوه

والسبتيون المجيئون.

ويحسن بنا أن نفهم ما تعلمه هذه الكلمات عن «البكر» - «بكر كل خليقة».

-١-

إن أبشع الضلالات جاءت نتيجة إخراج آية من قرينتها لكي تحمل إلى معنى يريده المضل. ولكي يستقيم المعنى ويفهم صحيحاً أريد أن نعرف قرينة الآية ونصها.

كذلك أريد أن نعرف أن إشكال نص الآية هو في تأويل ذلك النص إلى معنى غير المراد منها. والأغلب أن يقال ذلك عن معنى الكلمة في الترجمة بمعنى يريده ناشر فكرة يبحث عن إثبات كتابي لها...

كيف نُحيِّد الباحث؟ إن ذلك مهم جداً لكي نأخذ الحق المجرد الموضوعي.

وكيف نفهم النص؟ (واضح أن هذا بحث اللغة الأصلية من جهة وتطور اللغة المترجم إليها النص الأصلي من جهة أخرى). وكيف نفهم القرينة؟ (هذا هو علم مقدمات الكتاب: أو على الأقل درس ظروف الكتابة وغرض الكاتب).

ولكي نفهم الكتاب موضوعياً، وعملاً بالمبدأ الكتابي التفسيري «قارنين الروحيات بالروحيات» أريد أن نذكر الآيات مجرد ذكر ونرى كيف يفسر الكتاب نفسه:

«الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل ما في

السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٥-١٧)... «الذي هو رأس كل رياسة وسلطان». (كو٢: ١٠).

«كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به عمل العالمين الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم.... وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب١: ٢-٤ و٦).

«أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء» (رؤ١: ٨).

«ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض» (رؤ١: ٥).

«هذا يقوله الأمين الشاهد الأمين الصادق بداءة خليقة الله» (رؤ٣: ١٤).

والعبارتان اللتان اتخذتا سبباً للجدل هما: «بكر كل خليقة» «بداءة خليقة الله» (كو١: ١٥، رؤ٣: ١٤)، فهل المقصود بهما أول الكائنات المخلوقة؟

كلمة «بداءة» تعني «نبع» أو «مصدر» أي منه بدأت وكانت خليقة الله: فهو الخالق.

ويسند هذا: «الذي هو البداءة بكر من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء (كو١: ١٨) وكذلك العبارة: «بكر كل خليقة» فُسرت بعد ذلك مباشرة في الآية اللاحقة: «فإن فيه خلق الكل ما في السموات... الخ».

ويخبرنا الكتاب عن «ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء» (عب١: ٢) أي البكر: هذا البكر: «أعظم من الملائكة» «ورث اسماً أفضل منهم» وهذا هو معنى البكورية.

وفي كلا الموضعين حيث يتحدث الكتاب عن الابن أنه «بكر كل خليقة» «بداءة كل خليقة» فإنه بذلك يؤكد لاهوته ففي كولوسي (١: ١٦) يبينه خالقاً وفي ذات الآية (١: ١٥) «صورة الله غير المنظور» أي «بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب١: ٣) وهذا يشير إلى لاهوت الله الابن.

وعن الكلمة «البداءة» في ذات السفر يقول: «أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية» ليس بداءة بمعنى الأول في المخلوقات بل الخالق: «في البدء كان الكلمة» «في البدء خلق الله السموات والأرض» (رؤ٣: ١٤، يو١: ١، تك١: ١)، والدليل أنه يتكلم هنا عن الخالق لا المخلوق هو ما يتم به الحديث «يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء» (رؤ ١: ٨).

وهنا يمتنع معنى «أول الكائنات المخلوقة» لأنه في نفس الوقت لا يمكن أن يكون آخرها. الألف والياء إذا كان الألف معناه أول المخلوقات ماذا تعني الياء؟ وإذا كانت «البداية» معناها «بداية الخلائق» أي أول مخلوق فيها فما معنى

النهاية؟ وما معنى «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل؟» (كو١: ١٧).

وما دمنا في مجال الحديث عن اللغة ومعنى الكلمات فهناك معنى لكلمة «بكر» ورد في الياذة هوميروس في اليونانية، حيث وردت كلمة بكر بمعنى الأم في إنجابها الأول ومنه اشتق الإبداع: العمل الخلاق المبتكر (الإلياذة ١٧: ٥).

وهذا المعنى ذاته المشتق من الأم في إنجابها الأول ليس غريباً على الكتاب فقد ورد في إرميا (٤: ٣١) «ضيقاً مثل ضيق بكرية».

وانعكاس هذا المعنى على الآية «بكر كل خليقة» هو مبدع كل خليقة أي الذي بدأها.

أي أن الكلمات تعني نصاً: الخالق وليس المخلوق، الله وليس خليقته.

كنت في مستهل هذا الفصل قد ذكرت عن ضلالة الغنوسيين أنهم كانوا يقولون: خلق الله طغمة من الملائكة أقرب إلى المادية، وهؤلاء خلقوا أخرى أكثر منهم مادية.... إلى أن خلقت الطغمة الأخيرة الكلمة.

فيرد الرسول قائلاً: هو الذي أبدع كل شيء ما يرى وما لا يرى (غير المادي). هو الخالق وليس مخلوق ثم خالق - هو الأصل وليس فرعاً ثم أصلاً لما بعده. هو الرئيس البكر المتقدم في كل شيء.

-٢-

وعلى ضوء ما سبق من شرح مستفيض نوجز فيما يلي المعنى الكتابي «للبكر» ونوع البكورية:

(أ) واضح أن المعنى المقصود ليس التعبير عن وجود البكر بل عن مكانته، وشخصه... باعتباره «المفضل» الأول في محبة الآب.

(ب) ومن ثم عن سلطانه، الرأس.. (كو١: ١٨).

(جـ) وعن حقه «وارثاً لكل شيء» (عب١: ٢).

(د) عن أزليته «البداءة» لا نشوء قبله (رؤ٣: ١٤).

(هـ) عن عمله: الخالق (كو١: ١٦، عب١: ٢).

(و) عن عمله الفدائي: «بكر من الأموات» (كو١: ١٨).

-٣-

إذاً فما هي نسبة المسيح إلى الخلائق المعبر عنها بالكلمة «بكر كل خليقة»، «بداءة خليقة الله»؟

(١) في البساطة وبحسب معنى الكلمة كما رأينا: هو الخالق... «كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو١: ٣.) في (أم٣: ٨) يتحدث الحكيم عن الحكمة كشخص وقد أجمع المفسرون يهوداً ومسيحيين على أن الحكمة هنا هي الخالق بمعنى أو آخر وأجمعوا على أن هذه الأقوال عن الحكمة الإلهية معطية الحكمة (٣: ١٩، ٨: ٢٢-٣١).

وفي (يو١) يتحدث الكتاب عن «الكلمة» المتجسد وقد سبق أن تطور مفهوم «الكلمة» على يد (فيلو) الفيلسوف اليهودي في ق٢ ق.م. وانتهى إلى أن معنى الكلمة أشبة بمعنى «حكمة» في (أم) وكلاهما «الحكمة» و«الكلمة»

= الله المتجسد = الخالق.

وبذات المعنى علاقة الابن بالعالم كخالق.. الابن هو حكمة الله، هو كلمة الله - الخالق.

ولا يعني مطلقاً أنه ضمن الخليقة. بل هو خالقها.

(٢) كذلك يجب أن تعلم أن عبارة «بكر كل خليقة» تعني علاقته بكل الخلائق. تقول الضلالة التي أتى بها الغنوسيون إن الكلمة أحد الوسطاء بين الله والخليقة يعلو أو ينخفض. ويرد الرسول عليهم بأنه البكر، الخالق للكل.

ولم يخلقه أحد، إنه الرأس، البداءة، السيد، ولم يبدأ أحد قبله ولم يَسُدْ عليه أحد «بكر كل خليقة».

هو البكر السابق، المتقدم المفضل على الكل السائد على الكل - ما يرى وما لا يرى.

نادى الغنوسيون بعبادة الملائكة، باعتبار أن الملائكة اشتركت في الخلق. ينفي بولس ذلك قائلاً إن الخلق حدث بعمل البكر فقط «فيه خلق الكل» (١: ١٦) وأنه هو وحده المتقدم في كل شيء (ع ١٨) هو وحده المعبود والملائكة ذاتها تسجد له كلها (عب١: ٦).

(٣) وعالم الطبيعة أيضاً خاضع للمسيح - البكر. وقد أظهر لنا بعضاً من ذلك «فقام وانتهر الريح وقال للبحر اسكت ابكم. فسكتت الريح وصار هدوء عظيم... فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض من هو هذا فإن الريح أيضاً

والبحر يطيعانه» (مر٤: ٣٩-٤١)، كما سار على الماء (مت١٤: ٢٥)، وأمَرَ بطرس فسار على الماء (ع٢٨ و٢٩)، وأمسك بطرس ورفعه وسار به على الماء إلى أن وصل إلى السفينة ودخلها ومعه بطرس (ع ٣١-٣٢) ولما وصلا سكنت الريح. لهذا «سجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله» (ع ٣٢ و٣٣) البكر - بكر البحر وبكر كل الخلائق- سيدها.

(٤) ذكرتُ أن الملائكة تسجد له خاضعة وأضيف حتى الملائكة الساقطة (الشياطين) - تحت أمره «وقد أثار هذا عجب الجماهير وتحيروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين ما هذا. ما هو هذا التعليم الجديد. لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه». (مر١: ٢٧) بل باسمه خضعت هذه الأرواح الشيطانية لتلاميذه إذ أعطاهم السلطان (لو١٠: ٢٠) رغم أن الشيطان لم يخضع لبني سكاوا بل هاجمهم وقال: أما يسوع فأنا أعرفه وبولس أنا أعلمه وأما أنتم فمن أنتم؟» (أع١٩: ١٣-١٧).

(٥) كل المعجزات تشهد للاهوت المسيح ولكنني سآتي باثنتين تشهدان له كخالق:

(أ) في عرس قانا الجليل حوّل يسوع الماء إلى خمر (عصير عنب)[1] وذلك

---

(١) كان من عادة اليهود أن يقدموا خمراً (جيدة) أولاً = (غير متخمرة ليكون لهم وقت أطول في السمر والسرور.. وهذا يظهر كرم العريس. فعندما تقترب كمية العصير من النفاد يكون المدعوون قد امتلئوا أو اتخموا (استعملت الكلمة «يسكر» عكس «يجوع» في (١كو١١: ٢١). يقدم الدون: خمراً مخمرة... لقد آن وقت نهاية العرس. فكون عصير العنب الطازج أبقى للآخر (الذي حوله المسيح) فهذا يُوقع اللوم على العريس الذي أوقف السرور بالمسكر ليوفر عصير العنب.

لكي يبين «لتلاميذه» أنه الخالق لا فرق عنده في تحويل الماء إلى عصير عنب في الكرمة أو في إناء من حجر. قبل ذلك قال لأمه: «لم تأت ساعتي بعد» وهذا يعني أن أعماله مرتبة لها وقتها بكامل الدقة وهو لا يخضع فيها لترتيب بشري = إنه سيد الموقف. وبعدما أجريت المعجزة يعلق البشير «وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» - مجد الخالق (يو٢: ١-١١).

(ب) والمعجزة الثانية معجزة شفاء المولود أعمى (يو ٩) «تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى». ولقد فسروا ما فعل المسيح تفسيرات شتى في بعضها مسحة من الجاذبية والجمال. ولكني أرى أن الرب يسوع أراد أن يبرز للأعمى أنه «ابن الله»: البكر الخالق. الطين تراب، خلق منه الإنسان.. ينقص ذلك الأعمى قطعة من الطين هي العين التي يجب أن تحيا بنسمة الحياة نفخة الخالق: التفل.

فعل يسوع هذا وأرسله إلى بركة «سلوام» ليغتسل = بركة مرسل.. وقد سبق أن قال الرب «ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني». ورغم أن الأعمى شفي لكنه لم يفهم أن يسوع «ابن الله»: البكر، الخالق. فبين له يسوع ذلك صراحة حين لم يبق لذلك الأعمى أحد، وقد طرد من جماعة اليهود فقال له: «أتؤمن بابن الله» ولما لما يفهم الأعمى قال له يسوع «قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو» (ع ٣٥-٣٧).

البكر «فيه خلق الكل»... «الكل به وله قد خلق».. «قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٦ و١٧).

ابنه «الذي جعله وارثاً لكل شيء».. «الذي به أيضاً عمل العالمين.. «الذي.. هو.. حامل كل الأشياء بكلمة قدرته». «ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب١: ٢-٣ و٦).

- ٤ -

والآن أريد أن أزيد كلمة عن لاهوت البكر.. ولكن قبلها أقرر أنه غريب حقاً أن تؤدي عبارة في الرسالة إلى كولوسي إلى تطرف ضد لاهوت المسيح. والحق أن بدعة الغنوسيين تعتبر أساساً هجوماً على ناسوت المسيح وذلك لأنهم ينسبون الشر إلى المادة فقالوا لا يجوز أن نعتبر في المسيح شراً. لهذا فليس له جسد حقيقي من لحم ودم. بل وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بأن مشيئته ليس لها أثر على الأرض. ولهذا ردهم الرسول بالقول «فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو٢: ٩).

ومجرد معرفة ما ساد حينئذ لا يدع مجالاً لشك في لاهوت المسيح. ومع ذلك فقد حملت هذه العبارات إلى هوى حاملها ضد لاهوت المسيح. أريد أن أضيف بعض ملاحظات إلى ما سبق عن لاهوت المسيح.[٢]

---

(٢) لست أقصد أن أكتب هنا مقالاً عن لاهوت المسيح فإن هذا توسع شديد لفرع من هذا الموضوع. إن شئت التوسع فيه فارجع إلى (أ) كتاب رب المجد. (ب) ايماني للقس الياس مقار الفصل الخامس. (جـ) لماذا أؤمن للقس ابراهيم سعيد الفصل الخامس، وعديد من الكتب الانجليزية. وهنا اكتفى بملاحظات عن لاهوت «البكر» حيث يثار نقاش حول الآيات الخاصة به.

سبق الحديث عن النصوص في (كو١: ١٥-١٩، ٢: ٩، عب١: ١-٦، ١: ٥ و٨، ٣: ١٤) ومع أنها كافية لإثبات لاهوت البكر، فإنها جميعها حدث عنه على أنه «الله» «الخالق» «فيه كل الملء» «ابن الله» «بهاء مجده سم جوهره» «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (المعتني) المسجود له من لائكة، السرمدي... الخ.

وفي أماكن أخرى حيث يعلم الكتاب بناسوت المسيح.

يعلم بلاهوته أيضاً:

عندما يقول «الله ظهر في الجسد» هذا إثبات اللاهوت الذي ظهر في لناسوت (١تي٣: ١٦).

وعندما يقول «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً..» (يو١: ١٤) الكلمة = الله = الابن = اللاهوت، صار جسداً = الناسوت، وبعد ذلك عن طريق ناسوته أعلن لاهوته ومجده مجد «الوحيد» من الآب. الذي سر أن يتبنى آخرين لكي يكون بكرهم...

وعندما يقول «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر» (يو١: ١٨) الابن الوحيد = الله. خبر عن طريق ناسوته.

وسواء عن طريق المعنى منطقياً كما في الآية الأولى التي فيها يشرح الظهور الناسوتي لمن يسميه بصراحة «الله» أو في الآيتين الأخرتين اللتين تظهران أن الناسوت أعلن اللاهوت بل وأعلن الآب... ففي جميعها إظهار للاهوت البكر لا يقبل جدالاً.

تأنّس الله الابن: والظاهر هنا هو الإنسان الذي حل بيننا، وحين علّم بأنه «ابن الله»، أو غفر خطايا، اعتبروه قد جدف (يو. ١: ٣٣، مر٢: ٧) - ذلك لأنه كان فعلاً إنساناً كاملاً كل الفرق أنه لا خطية له.. لكنه إنسان... رأى الناس فيه ذلك، ولم يروا المجد الإلهي المخبوء في الجسد... لذا لم يقبلوا منه وعنه أي تعليم بلاهوته.

إلا أن بعضاً عاملوه على أنه إنسان وانتهوا أخيراً إلى اليقين بأنه الله.

هذا المولود أعمى يسألونه كيف أبصر؟ أجاب «إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينيَّ... الخ» (يو٩: ١١) وسألوه عن رأيه فيه فقال «إنه نبي» (ع ١٧) وعندما شككوه قال «لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً (ع ٣٣) لكنه سر بأن يعرف أن يسوع هو «ابن الله» وسجد له (ع ٣٥-٣٨) بدأ يؤمن به إنساناً.. نبياً.. من الله.. ابن الله.. المعبود. وهذا توما رغم اتباعه للمسيح، واقتناعه بأنه المسيح فإنه لم يخرج عن مفهوم اليهود عن المسيح - حتى القيامة من الأموات وضع حاجزاً دون الإيمان بها. لكن الرب ظهر له فقلب كل شيء.. لا يعتبره ذا مقام سام كنبي عظيم بل «ربه وإلهه» ونلاحظ هنا قوة مفهوم التخصيص: «ربي (أنا) وإلهي (أنا) (يو. ٢٠: ٢٥-٢٨). إن عدم الإيمان بالقيامة يجعل من المسيح مجرد إنسان. ولكن الإيمان بالقيامة حمل توما إلى عبادة الرب: «ربي وإلهي».

ويوحنا المعمدان ذاته بدأت معرفته بالرب يسوع «رجلاً: «هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي... الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح

القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله. (يو١: ٣٠ و٣٣-٣٤)
فبعدما وصفه بأنه «رجل صار» قدامه - شهد له بأنه «ابن الله»

هذا هو الابن المولود قبل كل الدهور - سيد وخالق كل خليقة.

الفصل الرابع

"بكر من الأموات" كو١: ١٨، رؤ١: ٥

ورد في سفر أيوب (وقد أشير إلى ذلك في الباب الأول «بكر الموت» أعظم ميت، أي أنه أخذ عن الموت قدرته كسلاح ليفتك، بالأحياء...

ولم يقل في هذا الصدد «بكر الأموات».. والتعبير يعني أعظم الأموات.. ولم يذكر الكتاب ذلك عن المسيح ذلك أنه لا يُعلم بالمسيح كميت أو يقارن بينه وبين الأموات ليجعلهم يقفون خلفه وهو بكر لهم.

التعبير الذي نحن بصدده هنا هو «بكر من الأموات»: أي الرأس، الأفضل، الأعظم السيد بالنسبة للخارجين من دائرة الأموات.

-١-

هو البكر زمناً وفضلاً.. رغم أهمية موضوع صحة القيامة من الأموات بصورة عامة. في عصر المسيحية الأول، وكذلك في عصرنا هذا لكنها مبحث خارج عن دائرة هذا الكتاب. نشكر الله أننا في هذه الأيام نسلم به يقيناً. ومن منطلق إيمان بالقيامة نقسم الأموات فريقين: الرب يسوع المسيح يقف وحده، ثم باقي من أسلموا الروح يوماً ما في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. والرب يسوع

البكر، وهم خلفه بعد ذلك.. زمناً وفضلاً.[1] ذلك ما يعلمه الكتاب:

أ- هو أولاً.. وباقي الأموات في آخر الزمان: «المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه» (١كو١٥: ٢٣) أي المسيح أولاً وفي آخر الزمان «الذين للمسيح».. وهنا لا يستطيع المرء أن يتجنب التعرض لموضوعين:

١- عندما يقول «الذين للمسيح» في مجيئه أخذ البعض هذا على أنه يعلم بأن الذين ليسوا للمسيح لا يقومون قط كما يقول السبتيون المجيئيون وشهود يهوه[2] وقال آخرون بقيامتين لهما تفصل بينهما ألف سنة. وأكتفى بالحاشية أدناه رداً على منكري قيامة الأشرار. وأما القائلون بقيامتين «جسديتين» فأكتفى بالآية (يو٥: ٢٨-٢٩). أما الاستفاضة فيه فأعد ببحث أطول إن شاء

---

(١) قلت يخرج عن مبحث هذا الكتاب البرهنة أن الموتى يقومون لكن على الأقل تلزم الإشارة إلى النقاط التالية:

أ- أنكر القيامة من اليهود الصدوقيون. ومن الفلاسفة نعرف على الأقل الأبيكوريون والرواقيون (أع٢٣: ٨، ١٧: ١٨).

ب- من الأديان القديمة آمن المصريون بالقيامة ولكن بصورة تختلف عما يؤمن به المسيحيون بناء على وحي إلهي.

جـ- للأسف أنكر بعض من سموا أنفسهم مسيحيين قيامة الأشرار (يرد الكتاب أع٢٤: ١٥، يو٥: ٢٨-٢٩، مت٢٥: ٤٦).

(٢) أنكر شهود يهوه قيامة الأشرار اطلاقاً. وقال السبتيون يقوم الأشرار ثم يحرقون كالقش ولا خلود لهم. اقرأ رأي الأول في كتابهم «هذه هي الحياة الأبدية» واقرأ رأي الآخرين في كتابهم «الكتاب يتكلم».

الله.

٢- ما المقصود بكلمة كل واحد في «رتبته» (١كو١٥: ٢٣): والتي تحدد الفصل بين قيامة البكر وقيامة «الذين له».. الكلمة في اليونانية (توجماتا) وتعني رتباً عسكرية. بهذا المعنى يكون المسيح الأعلى صاحب رتبة أسمى في قيامته ثم بعد ذلك الرتبة الأخرى. وهذا صحيح (وسيأتي حديث عنه بعد قليل). ولكن بسبب هذه الرتبة السامية جعل أولاً من حيث الزمان. وأيضاً لأن قيامة المسيح سبقت. وقيامة الذين له فستكون «في مجيئه» أي أن المسيح بكر من الأموات زماناً وفضلاً.

٣- وهنا أود أن ترى فضل «رتبته» فإنه «قام» بقوة حياة في ذاته... أما هم فيقامون.

قال عن نفسه «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته». (يو٥: ٢٦) وهو بفعل هذه الحياة قام.

أما هم فتحت حكم الموت ولا رجاء لهم إلا أن يقيمهم من يناديهم بكلمة فيها القوة المحيية.

هو الحي المحيي، وهم ينالون الحياة منه - حياته أصيلة، حياتهم موهوبة منه إليهم. لهذا درجة قيامته تفوق درجتهم، تتقدمها وتسبقها. هو الأول هو البكر.

«رتبته» رتبة بكر يتقدم كل «المقامين» من الأموات.

٤- وحيث أنه له حياة في ذاته فالموت بالنسبة له عارض ولذلك يقول

الكتاب: «ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه» (أع٢: ٢٤) لا سلطان للموت مع من له حياة في ذاته ولا بد أن يقوم.

كل الأموات بعد ذلك ينتظرون «دعوة» من «ابن الله» - البكر:

«لا تتعجبوا من هذا. فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع[1] الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة» (يو٥: ٢٨ و٢٩).

يهمنا هنا أن الأموات يقومون لدى سماع صوت البكر: «ابن الله» (ع ٢٥).

دعا «ابن الله» ابنة رئيس المجمع وقال لها «طليثا قومي الذي تفسيره ياصبية لك أقول قومي وللوقت قامت الصبية ومشت» (مر٥: ٤١-٤٢). هذه الصبية ماتت، وأرسلوا من البيت يقولون لوالدها ابنتك ماتت لماذا تتعب المعلم بعد» (مر٥: ٣٥). وعندما جاء يسوع إلى البيت «ورأى ضجيجاً. يبكون ويولولون كثيراً فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون. لم تمت الصبية لكنها نائمة. فضحكوا عليه. أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا

---

(١) قيامة الحياة وقيامة الدينونة ليستا قيامتان منفصلتان بل واحدة: إنما المقصود ما يؤول إليه حال كل من المخلصين والهالكين. كلاهما حدثا نتيجة سماع صوت «ابن الله» في «ساعة» تأتي فيها يسمع «جميع الذين في القبور الصوت فيقومون كل إلى مصيره. كل بجسد متغير قابل لما يستحق: كمال المجد أو كمال العذاب بلا فناء...

قومي».

أي أن كل الشواهد تقول ماتت الصبية حسب مفهومنا للموت.. فدعاها «ابن الله» فقامت. وهذا ما حدث أيضاً بالنسبة لابن أرملة نايين: خارج باب المدينة، جمع كثير مع الأم الأرملة الثكلى، ذاهبون لكي يدفنوا الميت الوحيد لأمه! فدعا «ابن الله» الميت وهو في نعشه: «أيها الشاب لك أقول قم» (لو٧: ١٤) فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه».

على أن أعظم حدث من هذا القبيل ويعتبر مثلاً واضحاً صادقاً لما سيحدث أخيراً هو إقامة لعازر:

مات لعازر وصار له أربعة أيام في قبره حتى استنكرت مرثا أخت الميت أن يفتح قبره فقد «أنتن»! وعلى الرغم من حالته هذه ناداه الرب بصوت عظيم «لعازر هلم خارجاً» (يو١١: ٤٣) «فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطان بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب» (ع ٤٤) وكان الجمع الذي لاقاه يوم أحد السعف «يشهد أنه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات» (يو١٢: ١٧).

٥- البكر أولاً وبقوة حياة في ذاته، وأخيراً: في مجيئه، الذين له ودعوة منه وبقوة حياة في ذاته يمنحها لهم.

-٢-

البكر «رئيس الحياة» كما يقول بطرس الرسول (أع٣: ١٥). لذلك لا يمكن أن يفقد الحياة، صُلب لكنه قام... حي.. هذا يعني أصالة الحياة فيه، بحيث لا

يفقد الحياة: صلب.. مات.. فقام، هذا المعنى له رنين خاص، كما ذكر الموت: «ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات» (أع ٣: ١٥).

«والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين» (رؤ١: ١٨) الذي كان ميتاً فعاش (رؤ٢: ٨).

«رئيس الحياة». قام من الأموات، رئيس من هو عتيد أن يقوم من الأموات، ذلك لأنه لا يمكن أن يفقد الحياة بل يعطيها لمن فقدها.

القائد، معطي الحياة، الذي يشرك آخرين في حياة ذاتية فيه. يدعو الأموات ليحيوا لأنه هو حي. له حياة في ذاته (يو٥: ٢٦) ويحيي من يشاء (ع ٢١) لذلك قال «أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو١١: ٢٥).

على أنه كرئيس الحياة يجري تقديم الحياة بصورة روحية أيضاً:

«وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (ع ٢٦).

ومن قبل قال عن الهبتين ذاتهما:

«الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون». (يو٥: ٢٥). وهذه هي القيامة الروحية: منحة من رب الحياة. أما القيامة الجسدية وهي أيضاً من «صوت ابن الله» فقد تأملنا فيها شرحاً للقول: «لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيآت إلى قيامة الدينونة» (ع ٢٨ و٢٩).

وكما تأملنا في منحة الحياة للجسد بالقيامة الجسدية أريد أن نتأمل في منحة الحياة للروح في القيامة الروحية. «الأموات في الذنوب والخطايا». (أف٢: ١-٥) الذين اقتنصهم إبليس لإرادته فوقعوا في فخه وأعمتهم خطاياهم، لا يدرون بمستقبلهم المظلم ولا يريدون ترك ذنوبهم ولا يستطيعون فك نيرهم... أموات. ومتى قال الميت لأحد أقمني؟! إن ذلك «الأحد» هو الذي يقيمه... هو رئيس الحياة: معطيها: البكر.

قال «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم» (يو١٥: ١٦) ونحن نقول «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو٤: ١٩) أخطأنا وضللنا. هو الذي جاء يطلب ويخلص ما قد هلك (مت١٨: ١١). منذ آدم سقطنا وكل ما فعلناه أن اختبأنا لكن هو الذي طلب ونادى: «أين أنت» (تك٣: ٩).

أعطى الحياة لآدم في نفخة أحيت الجسد التراب (تك٢: ٧) فلما وقع تحت حكم الموت (الجسدي) جهز أن يبطل آخر عدو سواء رقدنا أم لم نرقد.. سنتغير، نائلين الحياة.. (١كو١٥: ٥١-٥٢، رو٨: ٢٣، إش٤: ١٤-١٧) وقد خلق آدم في البر وقداسة الحق لكنه سقط من هذه الحياة إلى موت الخطيئة فجهز له خلاصاً (أف٢: ٥)، كان وسيظل إلى الأبد رئيس الحياة وها الأموات «يسمعون» صوت ابن الله.. والسامعون يحيون (يو٥: ٢٥)، لذلك يقول (صوت ابن الله) «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤)

مات، وقام: رب الحياة، رئيس الحياة، معطي الحياة.

«وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٥). أي أنه بموته وقيامته أعطى «الحياة» الجديدة التي من سماتها أن «يعيش» الأحياء له (حياة القداسة والخدمة).

الخاطيء ميت أدبياً وأبدياً.. أعطاه الحياة. الخاطيء تحت حكم دينونة من عدل رهيب - احتمل عنه الحكم وأعطاه بر الله. هذا عندما يقبل هبة الحياة من معطيها وذلك بالإيمان بموت وقيامة المسيح لأجله: «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص» (رو. ١٠: ٩ و. ١).

لكن أما كان ممكناً أن رئيس الحياة «البكر» يعطي الحياة لنا نحن الأموات بالذنوب والخطايا إلا بأن يموت؟

مطلقاً - ولعدة أسباب مرتبط بعضها ببعض:

١- لأننا تحت حكم العدل الذي يقتص منا لإهانة قداسة الله. (نا١: ٣) ولا يمكن أن نتبرر إلا بأن يحمل عنا عقاب خطايانا نائباً عنا.

٢- لأن الحكم علينا بالموت مصحوب بلعنة ضد من كسر وصية الله (غل٣: ١٠) ولكي نتبارك بالحياة يجب أن يحمل عنا لعنتنا وموتنا (ع ١٣ و١٤).

٣- لأن خطيتنا قد صارت جزءاً منا ولا سبيل إلى تركها أو التوبة عنها إلا بموت الفادي، فيه نتحد وفيه نصلب لكي يقوم فينا إلى جدة الحياة (غل٢: ٢٠، رو٦: ١-١٤).

ولا يوجد فادٍ آخر لأن أي آخر ميت ولا يفدي ميتاً: لأنه إن مات ليس له حياة في ذاته يقوم بها ثم يحيينا. وليس كمن له البر الأصيل حتى إذا مات.. مات فادياً. الكل خاطيء (عدا المسيح). لا يوجد من يموت عنا بل من يموت يموت عن نفسه.

قدم حياته بدل حياتي فافتداني من الموت، لكنه بحكم أن له «حياة لا تزول» (عب٧: ١٦) قام وأكمل عمل الفداء.. واهباً الحياة.

-٣-

كذلك هو بكر من الأموات إلهاً.

أمامنا الآن ثلاثة موضوعات يجب أن لا تتشابك معاً حتى لا يحدث اللغط والضلال...

(أ) هل هو بكر لأنه قام من الأموات؟

(ب) هل يفهم من (رو١: ٤) أنه رقي إلى الألوهية بالقيامة؟

وهل هذا هو ما يفهم من (أع٢: ٣٦) بمعنى أن القيامة، دفعته إلى الربوبية وجعلته مسيحاً؟

(جـ) أم لأنه الله صار كل ذلك؟

الأول: افتراض خطأ. ذلك لأنه ليس بكر من الأموات لأنه قام؟

بل إن التعبير يعني أنه بكر الذين يقومون من الأموات، وهو بكرهم سيدهم لأنه في رتبة أعظم منهم حيث أنه بقوة حياة في ذاته قام أي هو الله... وهم

بشر... فهو رب وهم دونه.

والافتراض الثاني ضلال، يحتاج دحضه إلى درس الآيات المشار إليها «تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤).

ونلاحظ هنا أن مفتاح معنى هذه الفكرة يتضح في معنى كلمة «تعيّن» ومعنى «من الأموات».

استعملت الكلمة للتعيين في وظيفة ما (أع. ١: ٤٢، ١٧: ٣١) لكنها في هذين الموضعين يناسبها معنى أن ينصب الرب يسوع دياناً...

لكن الكلمة استعملت أيضاً بمعنى «حتم»، «محتوم» (أع١٧: ٢٦، ٢: ٢٣، لو٢٢: ٢٢) فهل يناسب هذا المعنى هنا؟

يشير علماء اللغة اليونانية بأن معنى ثالثاً هنا هو «نودي به علناً»[1]

وأرى أن نمتحن القرينة لنرى هل يناسب هذا المعنى؟. بعدها الكلمات «القيامة من الأموات» المفروض أن تكون «بقيامة الأموات» وفي هذه الحالة يكون المعنى: بمن قام وفي قيامته قيامة الأموات: بكر من الأموات.

إن موضوع الحديث هنا هو: المسيح بحسب ناسوته من نسل داود، ولكن بحسب لاهوته ابن الله: نودي بهذا علناً عندما قام، وفي قيامته بشرى للأموات أنه ربهم الذي يقيمهم. وأرى أن المعنى ينسجم هكذا.

أم هل هو أمر مقرر أصلاً كحقيقة ثم يعلن عنها بعد ذلك رسمياً. وهذا ما

---

1. Thayer, Greek - English Lexicon (p. 453)

تؤيده أقوال كثيرة في الكتاب.

النبوة عن أزلية المسيح جاءت في المزمور الثاني في عهد داود. وأعلنت رسمياً في القيامة (أع١٣: ٣٣ و٣٤، غل٤: ٤).

وداود ذاته مسح في بيت لحم وشاول بعد حي (١صم١٦: ١-١٧) ثم مسح في حبرون (٢صم٢: ٤) على يهوذا فقط. ثم بعد سبع سنين مسح في حبرون أيضاً على كل إسرائيل (٢صم٥: ٣). في المرتين الأخيرتين كان المعنى الإعلان العلني: أولاً، الجزئي ثم الكلي.

* حكم الرب على أورشليم بالخراب وكذا على الهيكل (لو١٣: ٣٤، ١٩: ٤١-٤٤)، ذلك أن رفض الإيمان قطع الرجاء فيهم وأصبح الأمر مقرراً. لكن التنفيذ بدأ روحياً (أع١٣: ٤٦) عند رفض الكرازة، ثم نهائياً عند خراب أورشليم (مت٢٤، قارن دا٩: ٢٧).

* الملائكة الساقطون مذ سقطوا محروسين للقضاء (٢بط٢: ٤).

* أبطل الموت (٢تي١: ١٠) بواسطة الإنجيل أي القيامة (١تي٤: ١٤) لكنه مفهوم أن الموت آخر عدو يبطل فعلاً (١كو١٥: ٢٩) وغير ذلك كثير.

على أن القيامة باعتبارها «إعلان علني» بأن المسيح هو الابن وهو البكر لها أهمية خاصة. فقد كانت هي مادة البشارة في العصر الرسولي: «أقامه.. جعله رباً ومسيحاً» (أع٢: ٣٦) أنظر أيضاً (ع ٣٢ - ٣٦).

في ذات الآية التي أمامنا (رو١: ٤) نقرأ: تعين (نودي به علناً) «ابن الله»

ثم بعد ذلك مباشرة كلمة «بقوة».. لقد كان ذلك الإعلان قوياً لدرجة مقنعة، أقنعت الرسول بولس ذاته حتى خضع لمحدثه (الرب الذي ظهر له بمجد خارج دمشق): «يارب ماذا تريد أن أفعل» (أع٩: ٦). وهنا يعتبره الإعلان القوي، ويذكر ذلك لكنيسة فيلبي على أنه المسيح الذي يهمه أن يعرفه «لأعرفه وقوة قيامته» (في٣: ١٠) ويقدمه كمشجع قوي لتيموثاوس أمام شتى المفشلات والمخاطر فيقول له «اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي. الذي فيه احتمل المشقات حتى القيود كمذنب!» (٢تي٢: ٨-٩).

يسوع المعروف أنه «من نسل داود» حسب الجسد نودي به علناً بحقيقته الخفية التي كان قد «أخلى نفسه» عنها (في٢: ٧). نودي به علناً أنه ابن الله بحسب اللاهوت. وعندما كان بالجسد بالآلام صلى «والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو١٧: ٥) فجاءت القيامة نداء علنيًا ينادي به: الممجد قبل كون العالم.

كل من شك (يو٢٠: ٢٤ - الخ)، وكل من قاوم (أع٧: ٥٨، ٨: ١، ٩: ١-٦) طفر من حال الشك ومن حال المقاومة إلى الإيمان بربوبيته ولاهوته: ابن الله: البكر.

هل هو بكر لأنه قام من الأموات؟ هذا غير صحيح.

هل رقي إلى الألوهية بالقيامة؟ كلا بل أعلن علناً أنه الله. وإليك السبب:

إذ كان في «صورة الله» لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد. صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع

نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢: ٦-٨) حتى هذا الحد نرى أنه في مظهره وفي ما يعرفه عنه البشر أنه:

١- إنسان لدرجة أنهم عابوا عليه واعتبروه مجدفاً أن يقول إنه ابن الله وتناولوا حجارة ليرجموه ولما سألهم عن السبب الذي يدعوهم إلى ذلك قالوا: نرجمك.. لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً (يو. ١٠: ٣١-٣٨): وإنسان هنا يدعوه عبداً (في٢: ٧).

٢- وفعلاً مات موت «عبد» مصلوباً.

ما أبعده عن ابن الله مظهرياً، وهو فوق الصليب، يجب أن يرد اعتباره.. وكان هذا بالقيامة: «إن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً» (أع٢: ٣٦).

وهكذا استجيبت الطلبة «مجدني».. بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.. وكانت القيامة مناداة علنية بألوهيته الأصيلة المخبوءة..

أي لأنه إله قام، فالموت لا يستطيع أن يمسكه: بالنسبة له الموت عارض.. ولأنه إله قام، وليس العكس.

-٤-

هو بكر المبشرين بالتوبة. «هوذا أعظم من يونان ههنا» (لو١١: ٣٢). وما هي آية يونان؟ ليست معجزة الإبقاء على يونان في بطن الحوت ثلاث أيام وثلاثة ليال، وليست هي خروجه من بطن الحوت حياً، بل هي فاعلية بشارة المقام

من الأموات. لقد كانت ليونان بشارة فعالة بعدما قام من الأموات.. وهوذا «أعظم من يونان ههنا» = بكر بالنسبة للتبشير:

قام يسوع من الأموات، وهناك الوعد لأن «يُرسل يسوع المسيح المُبشَّر به لكم من قبل» (أع٣: ٢٠) وإرساليته هنا في الروح القدس: أعظم من يونان من جهة عظمة الشخص يسوع ذاته، ثم عظمة قيامته، وبالنسبة للفاعلية عظمة شخص الروح القدس، ممثل المسيح المرسل «بعد القيامة»، وفي ذات الأصحاح يقول ذات التعليم بصورة أخرى «إليكم أولاً إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره» (أع٣: ٣٦).

هذا هو المعنى عندما يقول يسوع: «من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي» (يو١٤: ١٢)، ذلك لأن هذه الأعمال هي أعمال يسوع الذي قام من الأموات معمولة بالروح القدس في المؤمن، وهي أعظم بالمقارنة بالأعمال السابقة للقيامة.

وهذا هو السبب في أن من يبشر بالخلاص يجب أن يكون مخلصاً: قام روحياً من الأموات. هذا هو السبب في أن بطرس وليس الملاك أنسب لتبشير كرنيليوس (أع ١٠).

مقدم البشارة منذ يوم الخمسين وحتى مجيء المسيح ثانية هو نفسه المسيح المقام، حاضراً فينا بالروح القدس، يقدم بشارة فعالة.. فإذا اعتبرنا نحن واسطة تقديم بشارة المسيح المخلص: المصالح «نطلب عن المسيح» (٢كو٥: ٢٠)، فإنه بكر المبشرين «أعظم من يونان».. وقائد مبشري العهد الجديد: بكرهم.

«المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه» (١كو١٥: ٢٣)

قال البعض: الذين للمسيح فقط في مجيئه» وأما بقية الأموات فلم تعِش» (رؤ. ٢: ٥) وهكذا قالوا بقيامتين.. واحدة للأبرار والأخرى للأشرار.. وبعض سابقي الألف نادوا بثلاث قيامات للأبرار، ورابعة للأشرار:

(أ) قيامة عند «ظهور» المسيح، عند الاختطاف، حيث يتمتعون بعشاء عرس الحمل وتحل الضربات على من على الأرض.. ثم:

(ب) قيامة ثانية للأبرار الذين ماتوا أثناء الضيقة العظيمة ينضمون إلى الأولى في مُلك المسيح.

(جـ) وفي نهاية الألف سنة يكون قد تاب من الأشرار نتيجة لظروف الحرب الأخيرة.لأنه يجب أن يقوموا قبل القيامة الأخيرة حيث أنه:

(د) لا يقوم في القيامة الأخيرة إلا الأشرار... هل صحيح هذا التعليم أربع قيامات وحتى لو «ضغطنا» الثلاث الأوائل لنعتبرها قيامة أولى إلى جانب الأخيرة.

ما معنى القيامة الأولى؟ وهل يتبع ذلك أن توجد قيامة ثانية؟

لست أريد أن أطيل الوقوف في مبحث الملك الألفي أو مذهب سابقي الألف. إن هذا مبحث خاص لكنني أتعرض هنا إلى تعليمهم القائل إن هناك أكثر من قيامة. وأريد أن أعرض لما قاله الكتاب في ما يختص بالقيامة:

(أ) نرى فيما جاء في (رؤ ٢٠) ما يأتي:

١- القيامة المشار إليها هنا قيامة روحية في (عدد ٤) «عاشوا». وليست قيامة أجساد بل «نفوس».. قيامة الأجساد في هذا الأصحاح في (عدد ١١ - الخ) «رأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله» (عدد ١٢) «وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما» (عدد ١٣) وواضح أن البحر والموت والهاوية فيها أجساد الأموات لا نفوسهم.

٢- الذين قاموا (أو بالحري عاشوا) فيما يسمى «بالقيامة الأولى» هم الشهداء. والشهداء فقط. ولا يرضى سابقي الألف أن يقوم الشهداء في هذه القيامة، ويقوم الذين ماتوا في الضيقة العظيمة وفي نهاية السبع سنين، ويقوم الذين ماتوا في الألف سنة «يوماً ما» ثم يتركون هم أنفسهم وآبائهم وأجدادهم الذين ماتوا موتًا طبيعيًا!! وسيقبلون مرغمين أن يضموا أنفسهم إلى القيامة الأخيرة.

٣- «عاشوا» مقصود بها عدم الشعور بالذلة والقنوط بسبب استشهادهم - لقد شكوا «تحت المذبح» (رؤ٦: ٩-١١) من الساكنين على الأرض الذين قتلوهم وبذا يعتبرون أن ملكوت مسيحهم انهزم وحقوقهم ضاعت. هو هنا يطمئنهم أن الملكوت منتصر والإنجيل يتقدم وما ماتوا من أجله لم يضع بل بالحري ارتفع «وهم معه» «فعاشت» نفوسهم وملكت مع المسيح. عاشت نفوس الذين قتلوا بسبب سلامة ملكوتهم..

٤- فإذا غضضنا النظر عن المسمى القيامة الأولى كقيامة أجساد،

واعتبرناها انتعاشًا ورفعة لا تدخل ضمن قيامة الأجساد يبقى لنا اعتبار المذكور في نهاية هذا الأصحاح على أنه القيامة العامة. وأريد أن يفهم أنه لا يضيرنا من ذلك شيء. ولا يسيء هذا إلينا.

(ب) كلمة «دين الأموات».. «ودين كل واحد بحسب أعماله» (ع ١٢ و١٣) لا تضيرنا في شيء. نحن نأتي إلى الله «ديان الجميع» (عب١٢: ٢٢) «ولا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢كو٥: ١٠) المشكل عند سابقي الألف أن عندهم الدينونة تعني الحكم على مجرم، وذلك لأنه لا يوجد من ينجو من هذه الدينونة بأعماله لذلك أطلقت الكلمة «يتبرر» على غير الهالكين (مت١٢: ٣٧): لكن «الإدانة» والتبرير كليهما يحدثان أمام كرسي المسيح في وقت واحد (مت٢٥: ٣١- الخ، أع١٧: ٣١). وحينئذ «كالديان العادل» يهب إكليل البر للمجاهدين (٢تي٤: ٨). فالدينونة فيها الإدانة وفيها التبرير.

نعم نُدان حسب الأعمال لكننا نتبرر بالإيمان ذلك لأنه يفتح سفري فيجده مختوماً بالدم... وأعزل إلى اليمين. هذه الصورة مستحيل وجودها في حالة افتراض وجود قيامتين...

(جـ) إن كلمات «قيامة أفضل» (عب١١: ٣٥) قيامة الحياة (يو٥: ٢٩) «قيامة الأبرار» (لو١٤: ١٤) قيامة الراقدين في المسيح (١تس٤: ١٦). كل هذه الأقوال لا تدل على حدث منفصل بل على مآل أعلى بالمقارنة بالأشرار الذين يقامون معهم في ذات الموعد.

أما لماذا لم يذكر الأشرار في الشواهد المذكورة في (جـ). فالسبب ليس لأنهم لا يقامون في ذات الوقت بل لأنهم ليسوا في موضع البحث إطلاقاً. ولو تعرض لهم لذكرهم.

(د) يُعلِّم الكتاب بقيامة واحدة (مت٢٥: ٣١ و٣٢، يو٥: ٢٨ و٢٩، أع٢٤: ١٥). صحيح أن الكتاب تحدث كثيراً عن قيامة الأبرار ولم يشر إلى الأشرار ولكنه أشار ضمناً إليهم «في يوم الرب» «عند استعلان الرب يسوع من السماء» (٢تس١: ٦-١٠)، وهو الموعد الذي يحدده سابقو الألف لقيامة الأبرار!!

(هـ) في مجيء المسيح ينادي «بصوته» وبوق رئيس الملائكة ويدعو الأموات كما دعا لعازر «ويخرج» جميع الذين في القبور (يو٥: ٢٨-٢٩)

لأن «جميع الذين في القبور» يسمعون صوت ابن الله – وهو الصوت المنادي للقيامة.

وكذا الذين في البحر (رؤ٢٠: ١٣) والذين في الموت (الذين لا تستطيع أن تتقصى أين ذهبت أجسادهم).

(و) المسيح بكر لكل الصاعدين من الأموات الخارجين من القبور: أما بالنسبة للمؤمنين.. يرثون معه، يتمجدون معه لأنهم له.. اخوته وأما بالنسبة للأشرار فهو بكرهم يسودهم... يستوفي دمه منهم..

-٦-

قال السبتيون المجيئيون، وشهود يهوه بأن الأشرار نصيبهم أن لا قيامة ولا حياة..

وفي رأي شهود يهوه أنه بسقوط الإنسان قد مات. المؤمن توهب له الحياة، والخاطيء لا حق له فيها. لذلك لا يقوم قط.

وقال السبتيون بقيامة الخاطيء لكي يدان ثم بالدينونة يباد كقش!! ولا يعلّمون بخلود الأشرار في جهنم.

أما أنهم يقومون فهذا واضح مما ورد في الجزء السابق. وأما أن الدينونة ليست محواً لهم من الوجود فواضح من كلمة «أبدية» في كثير جداً من المواضع.

والعجيب أن البعض منهم قال نعم إن النار أبدية لكنهم هم ليسوا أبديين وهذا أمر يدعو للدهشة والعجب.

-٧-

البكر والذين له.. الآن.. وماذا سيكون...

صعد الرب يسوع بعد أربعين يوماً من القيامة إلى السماء من فوق جبل الزيتون وعيون تلاميذه شاخصة إليه.

صعد بجسده وروحه.. الإنسان الكامل وهو كابن: اللاهوت ماليء كل مكان.

حتى لو اختلف اللاهوتيون فيما بينهم بشأن حقيقة الجسد الذي قام به من القبر - اللحم والدم أم الجسد المجيد، فلا خلاف على أنه الآن في السماء بالجسد الممجد وهو الذي سيأتي به.

«وسيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢١) ذلك لأنه البكر ويستطيع أن يسود الجسد الترابي - اللحم والدم لكي يغيره إلى صورة جسد مجده فتكون أجسادنا شبه جسد أخينا البكر: الرب (ص٣: ٢٠-٢١).

الآن نحن «أولاد الله» ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون «مثله» لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢).

هذا يعني أن الفاسد سيلبس عدم فساد، والمائت عدم موت (١كو١٥: ٥٢-٥٣) وأن الجسد الترابي سيتغير إلى صورة السماوي.. هذا هو «استعلان أبناء الله» (رو٨: ١٩) هذا هو فداء أجسادنا (رو٨: ٢٣) ويعبر عنه أيضاً «بالتبني» لأننا سنتبع البكر (الابن الممجد) كأولاد ممجدين «معه» (رو٨: ١٣) هذا هو رجاؤنا نتوقعه بالصبر.

وماذا عن الأموات الآن إلى ذلك الحين؟ هو البكر وفي وقته قام وهم في وقتهم يقيمهم. ماذا إلى ذلك الوقت؟ يقول الكتاب: فيرجع التراب إلى التراب كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها » (جا١٢: ٧).

ولا خلاف حول ما يحدث للجسد. نراه عياناً ونرى ما يحل به.. التحلل والرجوع إلى التراب... لكن الكتاب يذكر أن هذا جسد مستريح «لكي

يستريحوا من أتعابهم» (رؤ١٤: ١٣) إلى اليوم الذي يناديه فيه «ابن الله»: البكر، فيقوم.

فكر قدماء المصريين كثيراً بهذا الأمر واعتقدوا أن الجسد إذا تحلل لن يقوم ولهذا ابتدعوا فن التحنيط، وعمارة المقابر بين قبور ضئيلة وأهرامات. على أن الكتاب يذكر أن التحلل لا يقف حائلاً بين الإنسان والقيامة، وكذا تداخل جسد في جسد - يقول الكتاب: «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء... (في٣: ٢٠-٢١).

هذا عن أجسادهم وماذا عن الروح؟

طبعاً دعك من الذين قالوا بفناء الشرير، ولكن «يعطي» التقي حياة... إن الشرير لا يفنى، والتقي منذ أوجده الله أوجده ينتظر الخلود.

لكن هناك بعض يقولون بأن الأرواح تظل نائمة خاملة حتى القيامة. والصحيح أن المؤمنين في الفردوس بمجد في حالة انتظار، والأشرار «في الجحيم» في عذاب في حالة انتظار أيضاً. وعندما يأتي الرب ويقيم هذا وذاك ويفصل بينهم يذهب كل إلى مقره الأبدي.

ظهر موسى وإيليا على جبل التجلي مع يسوع يتكلمان معه «عند خروجه الذي كان عتيداً أن يكلمه في أورشليم» (لو٩: ٣٠-٣١) أما أنهما قد ظهرا بمجد (ع ٣١) فهذا لأنهما أتيا من مكان المجد ومن حال المجد. وأما عن الخروج العتيد فهذا يظهر أنهما ليسا في حال الخمول الانتظاري.

وعندما قال الرب يسوع للمصلوب التائب «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو٢٣: ٤٣) ولا نستطيع أن نقرر أن الفردوس مكان القيام لأن فيه الرب يسوع ذاته ولأن بولس عندما اختطف إليه «سمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن ينطق بها» (٢كو١٢: ٤). النفوس مدركة ونشيطة وفي سلام في حضرة المسيح وشركته (اقرار الإيمان: مادة ٣٩/ص. ٥) ولكن السعادة العظمى تبدأ فقط بعد القيامة بكاملها.

هذا بولس الذي اختطف إلى الفردوس وجاء يقول ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه[1] (١كو٢: ٩). وكانت أقصى أمانيه أن يذهب إلى هناك: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جداً» (في١: ٢٣)، فهل ذلك الأفضل أن يتجرد من الجسد وينام بالروح في الفردوس: في حضرة المسيح فلا يدري به؟!

لكن «سيأتي الآتي ولا يبطيء» (عب١٠: ٣٧) وحينئذ متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ٤).

سيكافيء الذين تعبوا من أجله ويكلل الذين تألموا معه...

وسيحكم على من رفضوا نعمته واختاروا الشر والخزي والهلاك.

بكر من الأموات[2]

---

(١) يتحدث الرسول هنا عن بركات روحية الآن لكن نفس الشيء ينطبق على كل البركات وبالأولى السماوية حينئذ.

(٢) كل ما قبل ينبر على أهمية البرهنة على قيامة الرب من الأموات ورغم أن هذا مبحث خاص لكن لأهميته أضيف التذييل الخاص (براهين القيامة).

تذييل

براهين قيامة المسيح

«أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة» (أع١: ٣)

بقى الرب يسوع مع تلاميذه بعد القيامة أربعين يوماً حتى صعد مع أنه كان متطلعاً جداً للصعود. إذ قبل صلبه صلى «مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو١٧: ٥). ومهما كان السبب الذي لأجله رفض أن تلمسه مريم المجدلية بعد القيامة، إلا أنه بقوله «لأني لم أصعد بعد إلى أبي» (يو. ٢: ١٧)، كان يعبر عن التطلع للصعود. فإذا كان تطلعه إلى هذا الحدث بهذه الكيفية فلماذا لم يصعد فوراً؟ لماذا أجل صعوده أربعين يوماً؟

لقد كان لديه برنامج حافل لهذه الفترة أهم ما فيه أن يبرهن لتلاميذه أنه قام (أع١: ١-٤).

كانت القيامة أساس البشارة، وتأكيد قبول كفارته، كانت الشهادة بأنه محق لا مُضل -بار لا مفسد- مخلّص لا ملعون: أقيم لأجل تبريرنا (رو٤: ٢٥).

وأي شك فيها وخاصة لدى الرسل والتلاميذ يهدم كل ذلك: لذا «أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة». ولكن كيف برهن الرب على قيامته:

أولاً: الدليل الكتابي

«لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو٢٤: ٤٤-٤٥)

(أ) أوضح لهم ما كتب عنه وعن قيامته في الكتاب المقدس في العهد القديم بأجزائه الثلاثة.[١]

(ب) وذكرهم بما قاله هو ذاته وتنبأ به عن نفسه: «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم» (لوقا ٢٤: ٤٤)

(جـ) ثم تأتي رواية البشائر معلنة بالصوت الواضح أن الرب قام. تحكي الأحداث بوضوح. «قام كما قال» (متى ٢٨: ٦).

ثانياً: الدليل المادي

قبر فارغ، من قبل يومين دفن فيه جسد الرب فإما أنه قام حقاً« كما قال» أو حدث شيء للجسد. وكيف يحدث «ذلك الشيء؟». على القبر حجر وُصف بأنه «كان عظيماً جداً» (مر١٦: ٤) مختوم بخاتم رئيس الكهنة على شمع ملصوق بحبال، يحرس ذلك القبر حرس روماني من ٦٠ عسكرياً مسلحاً، ربعهم فقط سمح لهم بالنوم ليسهر الباقون. مهما كان ذلك السارق لن يقدر أن ينال من ذلك القبر. ولو حدثت سرقة لقتل جميع هؤلاء الحراس ولكن مجرد ترويج

---

(١) المقصود بالأجزاء الثلاثة في النص العبري ما يطلق عليه [التوراه - الأنبياء - المزامير (أو الكتب) لو٢٤: ٤٤]، أي كل الكتاب المقدس (العهد القديم وقتئذ).

الإشاعة والحرس أحياء دليل آخر على القيامة.

قبر فارغ. ولكن هل هو فارغ؟ أبداً بل به الأكفان. ومن ذلك الذي يسرق الجسد: ويترك ما يُسرق = الأكفان؟!

ولهذه الأكفان قصة مع بطرس ويوحنا! تقدم يوحنا فوصل أولاً إلى القبر لكنه لم يقدر أن يدخل. دخل بطرس وآمن. ثم دخل يوحنا وآمن لا بد أن بالداخل شيئاً يدعو إلى أن تؤمن. نعم كانت لليهود وقتئذ طريقة للتكفين تتضمن شريطاً من الكتان (لو٢٣: ٥٣) يغمس في محلول ثم يلف على الجسد، والذراعان مطبقان على الجسم. عندما يجف هذا الشريط يعتبر مثل جبيرة الجبس على الجسد، ولا يخرج الجسد منها إلا إذا كسرت لأنها عند القدمين مقفلة وعند الرقبة فتحة لا تخرج منها الأكتاف. هذه الأكفان وجدت سليمة لقد كان خروج الجسد من الأكفان معجزة. وكذا المنديل كان يغمس في ذات المحلول ثم يبسط على الوجه والرأس فيجف ويصير في شكل مجسم. وهذا أيضاً وجد سليماً (يو. ٢: ٥-٧).. إن الرب قام!

لو سكت البشر فالحجارة تصرخ.

ثالثاً: الدليل التاريخي

لن أشير إلى ما رواه التاريخ. أكتفي بما لا يقدر أي تاريخ أن يتجاهله: يوم الأحد.

كيف تغير السبت إلى الأحد. أعلم أن جماعة تطالب بوصية تأمر بالتغيير من السبت إلى الأحد. وهذا أمر غريب لأنه مخالف لروح العهد الجديد. ولكن

تمسك هؤلاء بالأحد وتمسك اليهود بالسبت لن يغيره عند الكنيسة المسيحية سبب أقل من أن يكون الرب قد قام في ذلك اليوم.

رابعاً: الدليل المنطقي

١- لقد كانت هذه القيامة خاتمة طبيعية لحياة المسيح ولا يمكن أن يكون الصليب. ولا يمكن أن يمسك من القبر.. إنه رب الحياة، الموت بالنسبة له عارض ولكن لا بد أن يقوم.

٢- شخص أقام الميت، وغفر الخطايا، لمس الأبرص فطهر الأبرص ولم يتنجس هو... إما أن يقوم من الأموات أو أنه خداع!

لقد تحدوه أن ينزل من على الصليب ليروا ويؤمنوا به (مت٢٧: ٣٩-٤٤) ولو فعل (ويقدر أن يفعل) لضيَّع فداءنا - الأمر الذي لأجله جاء. لكنه فعل أعظم من النزول عن الصليب. لقد قام من الأموات وبرهن أنه جدير بالثقة وجدير بالإيمان به.

٣- الكذبة الملفقة متفق عليها سابقاً، لكن ما رأيك في أن كل من ظهر لهم، وكل من بشروا به رأوا في ذلك أمراً غريباً.. حتى كلماته هو عن نفسه بأنه سيقوم نسوها.. هل هذه أذهان تلفق؟ حتى عدم التوقع وصل بهم إلى الشك!

٤- وإذا كانت قيامة المسيح أكذوبة فلماذا تمسك بها الكاذبون حتى العذاب والموت ناهيك عن السجن والجلد. فلماذا هذا العناد الشديد من أجل أكذوبة... لكن يبدو أن كل من قال إنها أكذوبة وجد نفسه منساقاً إلى الإيمان... أو ثبت

له أنه هلك.

٥- في ظهور الرب قدم براهين غلبت كل أسلحة من تسلحوا ضد خبر القيامة.

أ- المجدلية مصممة أنه البستاني حتى قال لها «مريم» ومن فورها اقتنعت بتلك النبرة التي طالما كلمها بها من قبل. ومن فورها قالت له «ربوني».

ب- ثم توما الذي بالغ في تشككه حتى سماه الرب «غير مؤمن». واشترط توما اشتراطات ليس من الوقار أن تشترط على الرب ومع ذلك ظهر له وكرر له نفس كلماته بطريقة وجد نفسه أمامها خاضعاً يسجد له قائلاً: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٤).

جـ- يعقوب (المسمى أخو الرب) الذي لم يؤمن به قبل الصليب ولا كل زمان خدمته الأرضية. الذي يصفه الكتاب: «لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به» (يو٧: ٥). وبلغت بهم القساوة أن قالوا عنه «إنه مختل» (مر٣: ٢٣) وأرادوا أن يمنعوه من مواصلة الخدمة (مر٣: ٢٢ و٣١-٣٥)، يعقوب هذا يظهر له الرب خصيصاً (١كو١٥: ٧) فآمن وصار رئيس الكنيسة في أورشليم وقائد مجمع أورشليم الأول (أع ١٥).

(د) ثم ما رأيك في شاول الطرسوسي؟ مجرد البشارة بأنه قام من الأموات كانت تكفي لأن يقتل شاول قائلها وكم عذب وكم سجن وكم شرد وكم افترى وكم قتل شهود قيامة المسيح!! (أع٢٦: ٨-١١). وعندما ظهر له خارج دمشق لم يجد بداً من أن يقول وهو متحير ومرتعد: «يارب ماذا تريد أن أفعل. ثم بعد

ذلك نادى «بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه» (غل١: ٢٣) قائلاً: «اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي» (٢تي٢: ٨).

(هـ) كانت كل الآمال ذاهبة منتهية: «ونحن كنا نرجو أنه هو «المزمع أن يفدي إسرائيل» (لو٢٤: ٢٠). وقد استطاع أن ينفذ إلى هذه النفوس اليائسة ويعيد لها الأمل.

فأي منطق أنكر قيامة المسيح واستمر منطقاً؟

خامساً: دليل الظهور

في الحقيقة كل الأدلة السابقة أدلة ظهور وفيها وضح الرب الكتاب، وأظهر بالدليل المادي أنه قام.. ومن تكرار ظهوره يوم الأحد - اختص الأحد بنفسه- في ظهوره جاوب على كل منطق تسلح ضده - وثمة نقاط جديرة بالذكر فيما يختص بالظهور ذاته.

كان شاول ينكر قيامة المسيح. فلما ظهر له بمجده وتكلم معه، أين ذهب ذلك الإنكار؟! لقد تبخر عندما رأى بعينيه. ولقد قصد الرب ذلك بالنسبة لتلاميذه.

وفي ظهوره اهتم الرب بأمرين ١- أن يُرِي نفسه لهم ٢- وأن يظهر لهم بالدليل أنه هو هو - لا شبحاً ولا وهماً. وفي ذلك تنوعت وسائله: اللمس (مت ٢٨: ٩) (في حالة مريم المجدلية كان للرب سبب في رفض لمسها)، والنظر «أراهم يديه وجنبه» (يو٢٠: ٢٠) وأكل أمامهم (لو٢٤: ٤٣)

كان دائماً يحمل لهم رسالة خاصة: رسالة تعزية الحزين، رسالة إعادة الإيمان

إلى من ملأه الشك، رسالة إلى المتطرفين في اضطهاده وربحهم إلى الإيمان به والمناداة باسمه وقيامته.

ظهر لهم في مختلف الأماكن ومختلف الأوقات ليقطع على كل متشكك شكوكه: هو هو رغم تنوع المكان والزمان - هو هو وليس وهماً.

لكن الظهور الذي لا يمكن أن تنكر آثاره ولا يتسرب الشك إليه هو الظهور «لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باق» إلى وقت كتابة الرسالة إلى أهل كورنثوس. وجميعهم شهدوا (١كو١٥: ٦).

سادساً: دليل الاختبار

تلميذ ينكر المسيح يحلف ويلعن أمام جارية وخدم، بعد أيام يقول لسادتهم «بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه» ويشتد تأنيبه لهم إلى الدرجة أن يجلب عليهم دم ذلك الإنسان! (أع٢: ٢٣، ٣: ١٣-١٥، ٥: ٢٨) كيف تغير هؤلاء التلاميذ من الجبن إلى الشجاعة النادرة؟ الجواب هو القيامة. والذين تركوه وهربوا ومنهم من هرب عرياناً (مر١٤: ٥٠-٥١) كيف جاهروا ببسالة محتملين السجن والألم والعذاب: لا شك أن هذا مرجعه: القيامة.

ولو لم يكن المسيح قد قام لانتهى يسوع وتعاليمه وكنيسته مثل الفتن التي استشهد بها غمالاتيل (أع٥: ٣٦-٣٨) والذين هربوا ما كانوا رجعوا بعد ذلك إلى الإيمان. والذين أنكروه لاستمروا في الإنكار... لكن ذلك كله قد تغير لأنه قام.

وهناك قوة أكثر من كل ذلك لا يدركها إلا المؤمنون المخلصون، ويدركها

الذين عن قرب منهم: قوة الله للخلاص. فالشرير الذي تشهد ضده شروره إن تغير، فالسبب يعود إلى أن حياة جديدة عملت فيه من المقام من الأموات... ومن هؤلاء كثيرون وحتى يومنا هذا ممن تشهد حياتهم الجديدة أن المسيح قد قام.

نعم قام! بالحقيقة قد قام!

الفصل الخامس

"بكراً أعلى من ملوك الأرض" (مز٨٩: ٢٧)

أكبر الأولاد في أسرة ما، أو المفضل إن لم يكن الأكبر، هو بكر الأسرة. الشيخ بكر القبيلة أو الدائرة في قرية كبيرة. الحاكم بكر المقاطعة. الملك بكر الأمة. «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض». والقائل «أنا» هنا هو الرب ذاته... وهو بذلك يرفعه إلى أعلى قمة...

وردت هذه الآية في مزمور يروي عهد الرب لداود، وفيه يطالب المرنم الرب بإقامة ذلك العهد. ويبدو أن نسل داود المعني حرفياً في ذهن المرنم هو يهوياكين، الذي كان قد سبي وهو صبي بعد. والملك لم يدم فيه أكثر من ثلاثة أشهر وقضى سجيناً في سبيه ٣٧ سنة (٢مل٢٤: ٨-١٢، أي٣٦: ٩-١١، ٢٤: ١، ٢٩: ٢، ٢مل٢٥: ٢٧). يقول المرنم «لكنك رفضت ورذلت. غضبت على مسيحك (الملك) نقضت عهد عبدك نجست تاجه في التراب» (مز٨٩: ٣٨-٣٩).

فقياساً على تفسير الكتاب لنفسه: «لأنه لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر. إذاً بقيت راحة لشعب الله» (عب٤: ٨ و٩) أو قول بطرس الرسول «لأن داود لم يصعد إلى السموات وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني» لذلك يقتبس قول داود «لأنك لن تترك نفسي في

الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً.. أيها الرجال يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود إنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم... سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح» (أع٢: ٣٤ و٢٧ و٢٩ و٣٠).

والمبدأ التفسيري هنا هو عندما يستحيل اعتبار التفسير الحرفي لأن التاريخ أثبت غيره وشهد له النص اعتبر الإتمام الأبعد زمناً. أي أن الملك الموعود بملك إلى الأبد هو المسيح نسل داود وهو المقصود بالقول: «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض».

-١-

إنه بكر الملوك: «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض» (رؤ١: ٥).

في وقتنا الحاضر في ظل البرلمانات والديمقراطية تغير مفهوم الملك.. لكن لكي نفهم المقصود من الآيات الكتابية علينا أن نعود إلى مفهوم الملك حينئذ. كان الملك هو السلطة المطلقة، كلمته قانون يسري على الجميع «أيا شاء قتل وأيا شاء استحيا وأيا شاء رفع وأيا شاء وضع» (دا٥: ١٩) على فمه يقبل جميع الشعب (أي يقول الكلمة فبمجرد خروجها من فمه يقبل السامع الأرض) (تك٤١: ٤٠) عند عبوره الشارع الموجود فيه يركع (ع ٤٣) «وبدونه لا يرفع إنسان يده ولا رجله» (ع ٤٤) يحلف بنفسه: «أنا فرعون» (ع ٤٤) والكتابة التي تكتب باسم الملك وتختم بخاتمه لا ترد (استير٨: ٨). ومن لا يعمل اعتباراً لنهي الملك يموت (دا٦: ١٤-١٧). هو أثمن نفس في كل الشعب، وإذا

هرب الجميع، أو مات نصفهم لا يبالي الأعداء المهم هو الملك ذاته (٢صم١٨: ٣).. وكثيراً ما كان الملك هو فقط هدف العدو في الحرب (١مل٢٢: ٣١) فإذا قتل انتهت الحرب وانكسر شعبه (١صم١٧: ٥١، ٢مل٢٣: ٢٩-٣٤). ونظم حكم الملوك قديماً جعلت الملك السيد وكل رعيته عبيداً له (١صم٨: ١٠-١٨) وقد عقب الرب على ذلك بالقول «ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين» (لو٢٢: ٢٥).

على أن ملك إسرائيل يقول الكتاب فيه شيئاً آخر: الملك هو الله (١صم٨: ٧). فكرة تمليك ملك عليهم منهم غير الله فكرة خطأ رفضها صموئيل (ع ٦)، سمح بها الله بهذا المعنى: «أنا أعطيتك مَلِكاً بغضبي وأخذته بسخطي» (هو١٣: ١١). واشترط الرب أن يكون الشعب والملك أيضاً في طاعة الرب (١صم١٢: ١٤): الرب هو الملك ومن يملك على إسرائيل فباسم الرب: الشريعة شريعة الرب والأمر أمره، والحرب هو قائدها، النصرة منه لا من الجيش ولا من العدد والسؤال: أنحارب أم لا، يرجع للرب... لو اعتبر الملك نفسه ملكاً دون الرب أخطأ ورُفض. هذا ما حدث لشاول (١صم١٥: ١٧-١٩ و٢٣) وكانت الخطية الوحيدة لداود كملك بسببها عاقبةُ الرب، بحسب اختياره، بالوباء في أرضه ثلاثة أيام (٢صم٢٤: ١٢-١٦) وهذا كان خطأ حزقيا (٢مل٢٠: ٣-١٨) لأن المفروض أن يكون شعار الملك «أنت هو ملكي يا الله فأمر بخلاص يعقوب. بك ننطح مضايقينا، باسمك ندوس القائمين علينا. لأني على قوسي لا أتكل وسيفي لا يخلصني» (مز٤٤: ٤-٥).

أوصى الرب بيد موسى وصية خاصة بالملك (تث١٧: ١٤-..) أهم ما جاء

فيها أنه (أ) مطلوب منه أن يتقي الرب (ع ١٩) وأن (ب) لا يرتفع قلبه على إخوته (ع ٢٠)، ذلك لأنه ليس السلطة العليا، فإن الرب فوقه سلطة عليا.

بهذا المعنى نفهم كلمة «رئيس ملوك الأرض» (رؤ١: ٥): إذا كان «ملوك الأرض» هم السلطة العليا في بلادهم فإن فوقهم «البكر» الأعلى منهم: «بكراً أعلى من ملوك الأرض».

ويقرن الكتاب كثيراً ملك المسيح وإعلان ملكه، بالقيامة من الأموات: «البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض» (رؤ١: ٥). وكذا من قبل يقرن بطرس الرسول في خطابه في يوم الخمسين ملك الرب بقيامته وصعوده (أع٢: ٢٥-٣٦) وذلك بسبب الفكرة الزائفة، التي يدعيها الملك الأرضي لنفسه، ويتملقه الشعب بها: الخلود. وهي بالنسبة للملوك الأرضيين زائفة، لكنها بالنسبة للرب صحيحة.

يحلف الشعب بملكهم «عش أيها الملك إلى الأبد» (دا٢: ٤، ٣: ٩، ٥: ١٠، ٦: ٦-٢١) «ليحيى الملك إلى الأبد» (نح٢: ٣، ١مل١: ٢١) والهتاف بالملك وبحياته (١مل١: ٣٤) مع أنه مفهوم أنه يموت.

واحد فقط أطلق عليه لقب «الحي» (دا٤: ٣٤، ١٢: ٧، يو٦: ٥٧، رؤ٤: ٩ و١٠، ١٠: ٦) هو الله. ولهذا حق له أن يُقْسَمَ به: «حي هو الرب» (١مل١٧: ١ و١٢، ١٨: ١٠ وغيرها) وهو وحده الذي استحق أن يقول «حي أنا» (عد١٤: ٢١، إش٤٩: ١٨، إر٢٣: ٢٤، تث٣٢: ٤٠).

القائل «حي أنا يقول الملك» (أر٤٦: ١٨) هو الرب. أما فرعون فهالك (ع

١٧) لهذا فالذي قام من الأموات «حي»: هو البكر، الخالد... «فوق ملوك الأرض» أعلى من ملوك الأرض. لقد ساد على الموت بالقيامة. أما هم فساد عليهم الموت. اضطهده الملوك لكنهم ماتوا أما هو فقام... البكر: بكر الملوك.

-٢-

يقول الكتاب عن المسيح إنه «ملك الملوك» (رؤ١٩: ١٦). ويحسن أن نعرف معنى هذا اللقب قبلما أطلق على الرب. أطلق هذا على نبوخذ نصر. قال له دانيال «أنت أيها الملك ملك ملوك. لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها» (دا٢: ٣٧ و٣٨). وقد دعي نبوخذ نصر كذلك بفم الرب ذاته: لأنه هكذا قال السيد الرب هأنذا أجلب على صور نبوخذ راصَّر ملك بابل من الشمال ملك الملوك بخيل وبمركبات... الخ» (حز٢٦: ٧).

لقد توسعت مملكة بابل حتى دخلت أقطارٍ أخرى تحتها وصارت هذه المقاطعات (الأقطار» جزءاً منها. رأسها الأعلى نبوخذ نصر وتحته ملوك أو حكام ملكوا على تلك الدويلات المكونة للإمبراطورية العظمى.

وفي وقت داريوس كانت مملكة مادي وفارس قوامها مائة وعشرون مملكة تحت رياسة داريوس (دا٦: ١).يذكر هنا عدد المرازبة لأنهم الموضوع ويغفل «الملوك» رؤساء المقاطعات، ثم اتسعت أيضاً في وقت أحشويرش فصارت مائة وسبعة وعشرون كورة (أس١: ١). روى الكتاب عن اجتماع كبير في احتفال

في السنة الثالثة من ملك أحشويرش فيه اجتمع مع شرفاء البلدان ورؤسائها (ع ٣).

بهذا المعنى يمكننا أن نفهم أن كلمة «ملك الملوك» كلقب للرب (مع الفارق) كانت تعني الإمبراطور الأسمى الذي تحته جميع الملوك. لكن هل هذا هو المفهوم الكتابي بالنسبة للمسيح «ملك الملوك»؟ قال البعض «نعم» وفي عرفهم لم يملك بعد وسيملك عند مجيئه الثاني.

وينبر الكتاب على (١) أن ملك إسرائيل هو الله (٢) وأن الله ملك منذ الأزل (٣) وأن إسرائيل ذاتها حتى في الوقت الذي كانت تعتبر مملكة الله كانت تسمى «مملكة كهنة» (خر١٩: ٦) وأعجب من كل شيء أن ينكر هؤلاء ملك المسيح الآن وربوبيته على القلوب والنفوس عند قبولهم كلمة خلاصه وعند نوالهم الحياة الأبدية!

جرب الشيطان يسوع بملك أرضي: «أراه جميع ممالك العالم ومجدها» (مت٤: ٨) ووعده بذلك في نظير الخضوع لمشورة إبليس: (أن يعلن لاهوته فلا يصلب بل بالحري سيملك!) وقد رفض الرب ذلك.

وبعد اشباع الجموع تجرب أيضاً بأن يختطفوه ليجعلوه ملكاً ولكنه انصرف إلى الجبل وحده يغالب التجربة بالصلاة (يو٦: ١٥، مت١٤: ٢٣).

اعترض بطرس على ذلك واعتبر الصليب عقبة دون تحقيق الملك الأرضي وانتهره الرب وخاطبه بقوله «يا شيطان» (مت١٦: ٢١-٢٣): كان الشيطان دائماً يريد أن يبعده عن الصليب. وحتى فوق الصليب جربه بأن ينزل عنه.

«لنرى ونؤمن بك» (مر١٥: ٣٢) وفي نص كلماتهم «لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن». (مر١٥: ٣٢) ومحور الإيمان ملك المسيح.

لكن الرب رفض كل هذا وأعلن أن ملكوته ليس من هذا العالم (يو١٨: ٣٦-٣٧) وقد عين رسالته «لأشهد للحق» - الحق الذي يحرر: «الطريق والحق والحياة» (يو٨: ٣٢، ١٤: ٦).

لم يرض الرب بملكوت هو أكل وشرب (رو١٤: ١٧) فيه يسود الناس (لو٢٢: ٢٥) والسلام الذي أتى به غير السلام المبني على قوة تبيد المحتل الروماني (لو١٩: ٤٢). وقال بصراحة إنه لم يأت ليهلك بل ليخلص... فكرة: «يكسرهم مثل إناء الخزاف» تعبير يوحي لأول وهلة إلى سلطان «الملك». والملك كما يصفه العهد الجديد روحي.

إن اللقب «ملك الملوك» ورد عن الرب بطريقة تظهر نوع ملكه: «الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب» الذي لم يره أحدٌ من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين». (١تي٦: ١٥-١٦).

الملك الروحي بخلاف ما يقال عن ملك منظور على عرش داود في أورشليم!!!

وهو «ملك الملوك» حيث أنه هو الله وهم تراب. هو له الكرامة وهم بلا كرامة إلا ما يعطيهم هو من كرامة (دا٢: ٣٧) وبلا قدرة إلا ما يعطيهم هو من قدرة (إش٤٥: ١-٥). على أن ملكهم هو هيئة هذا العالم التي تزول أما ملكه هو

فهو على قلوب البشر ليحولهم إلى قديسين.

كذا ورد اللقب في (رؤ١٧: ١٤) «هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون». وواضح أن جيشه: المدعوون والمختارون والمؤمنون لا يشكلون جيشاً سياسياً حربياً عالميًا. وأما الغلبة التي يتكلمون عنها فهي ليست نتيجة حرب كالتي يألفها العالم من سلاح وذخيرة، بل كالحرب المذكورة في (أف ٦).

كذلك ترد غلبته مرة ثانية في ذات السفر (رؤيا) وبنفس الأسلوب: «ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله على ثوبه وعلى فخذه اسمه مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ١٩: ١٥-١٦).

هنا يوجد ذكر السيف لكن السيف ليس ممسكاً باليد بل خارج من الفم: أي «كلمة» - «أمضى من كل سيف ذي حدين» (عب٤: ١٢). وواضح أن الضرب بالسيف الخارج من الفم ليس قتلاً! وسبق الحديث عن العصا والحديد فهو تعبير مجازي يعني به «يملك». ودوس المعصرة هو الدينونة للذين رفضوا نعمة خلاصه: «يحجزون الحق بالإثم.. وأظلم قلبهم الغبي». على هؤلاء غضب الله مشبهاً هنا بالمعصرة (رو١: ١٨-الخ).

وفي كلا الشاهدين في سفر الرؤيا (رؤ١٧: ١٤، ١٩: ١٥) يظهر معنى ملك الملوك ورب الأرباب بمعنى «الغالب» في موكب نصرته (٢كو٢: ١٤-١٦).

في موكب نصرة نبوخذ نصر على صدقيا ملك يهوذا: «قتل ملك بابل بني صدقيا في ربلة أمام عينيه. وقتل ملك بابل كل أشراف يهوذا وأعمى عيني صدقيا وقيده بسلاسل نحاس ليأتي به إلى بابل» (إر٣٩: ٦ و٧) كيف؟.. بربطه في مركبته وهي تجري فتجره ومربوط فيه من شعبه ما شاء ملك بابل أن يجرهم: عددهم ٣٠٢٣ + ٨٣٢ + ٧٤٥ على ثلاث دفعات كل دفعة في سنة ونظامهم أن يجروا في موكب نصرته.

ويصف موكب نصرة ملك أشور على مصر يوم سبي مصر «هكذا يسوق ملك آشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفي الأستاه خزياً لمصر» (إش. ٢٠: ٤).

إن ربنا لا يعمل هذا.. صحيح أنه «صعد إلى العلاء وسبى سبياً وأعطى الناس عطايا (أف٤: ٨) لكنه لم يسبهم كما فعل ملك بابل أو ملك أشور بل سباهم في محبته ومنحهم الروح القدس والمواهب العظمى والثمينة.

وبذا يضيف إلى أمجاده وأمجاد ملكه، أنه ملك المحبة: سَبيه سَبيُ المحبة، وانتصاره انتصار المحبة. لا يذل تابعيه لكنه يوجه خدامه في موكب انتصاره ولو بغير ما يريدون.

-٣-

إنه البكر - أعلى من ملوك الأرض بمعنى أنه سلطان في مملكتهم.

رفض نبوخذ نصر «ملك الملوك» الأرضي أن يعترف بالرب سلطاناً في مملكته. فنزل نبوخذ نصر وأكل العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء.

تركه أعوانه عندما تغير عقله... حتى «علم» أن العلي متسلط في مملكة الناس وأنه يعطيها من يشاء (دا: ٤).

ويشهد التاريخ بعمل عناية الرب التي تُسيِّر التاريخ سواء أقر الملوك بهذا أم لا! وتوجد الشواهد التاريخية في كل أمة التي تثبت هذا الأمر، لأنه لا يوجد تعليل آخر، غير تداخل يد الله، في التاريخ.

بسلطانه حكم على أورشليم (مت: ٢٤) التي رفضت أن نحتمي تحت عنايته كما تحتمي الفراخ تحت جناحي الدجاجة فجاء عليها الخراب سنة ٧٠م فيصف يوسيفوس المؤرخ اليهودي تلك الحادثة بما يطابق تماماً ما قاله الرب في (مت ٢٤) وبسلطان حكم على روما وامبراطوريتها الوثنية (الرؤيا).

لقد رد السيف إلى صدر مضطهديه.

هذا إلا إذا خضعوا له: «يسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له» (مز٧٢: ١١).

وخضع له الإمبراطور قسطنطين ومعه خضعت رومية وإمبراطوريتها.

وسواء خضعوا إخلاصاً، وطلباً للخلاص أم لا. فإنهم على أي حال يخضعون.. لأن من لا يخضع له مملكاً إياه على نفسه، سيخضع له ذليلاً وواقعاً تحت دينونة عدله الرهيب.

جاء المجوس يسجدون للطفل: الملك: «ملك الملوك» فهو منذ البدء «ملك الملوك»، وسيملك إلى أبد الآبدين.

-٤-

لهذا يحسن بالملوك أن تتوخى الوقار أمامه: «فالآن يا أيها الملوك تعقلوا: تأدبوا يا قضاة الأرض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة. قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مز٢: ١٠-١٢).

يقتبس العهد الجديد من هذا المزمور في ثلاثة مواضع (أع٤: ٢٥-٢٦، ١٣: ٣٣-٣٤، عب١: ٥ و٦) وفي جميعها يعتبر «الابن» المسيح.

ويصف الخضوع هنا على أنه نوع من التزام الوقار ويحذر من عدم الالتزام به حتى لا يقعوا تحت طائلة غضب الابن فيبيدوا.

ولماذا يوجه الكلام إلى الملوك، وإلى القضاة ذلك لأنهم بالاتكال على سلطة في أيديهم آنسوا في أنفسهم إمكان العصيان عليه. وهو هنا يريد أن يثبت قدرة الابن، وأنه لا يوجد من يقدر أن يعصاه وإلا تعرض لغضبه.

أما مظهر الخضوع هنا فهو واضح من كلمة «قبّلوا الابن» (ع ١٢) هل هو أشبه بما سبق التحدث عنه «على فمك يقبل جميع شعبي» (تك٤١: ٤٠). وقد علمنا حينئذ أن يوسف (بسلطة الملك) يقول كلمة فلدى سماعها يقبل السامع الأرض: أي يطيع خاضعاً. إذاً هل قبّلوا الابن معناه ذات الشيء؟

الكلمة هنا تختلف عن قول فرعون لأنها تقبيل ذاته فعلاً.. لكن المهم كيف وما المعنى؟

توجد قبلة الشفاه - قبلة الزوج

وتوجد قبلة على الوجه - قبلة الصديق

وتوجد قبلة على اليد - قبلة المستعطي

وتوجد قبلة على الرأس - قبلة المعتذر طالب الغفران

وتوجد قبلة على الرجلين - قبلة المتذلل الذي يعترف باستحقاقه حكماً صدر ضده من الطرف الآخر ويتذلل لكي يرفع. وتختلف هذه عن اعتذار بقبلة على الرأس لأن هذه الأخيرة يمكن أن تحدث من صديق لصديق، أما هذه فمن شخص يعترف بأنه دون الآخر وعليه حكم لا قبل له به.

أي من هذه هي المقصودة؟

ورد في الكتاب ذكر الخضوع في هيئة قبلة، ومن أمثلة ذلك:

«أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب» (مز٧٢: ٩).

«بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه» (إش٤٩: ٢٣).

«يلحسون التراب كالحية كزواحف الأرض يخرجون بالرعدة: من حصونهم يأتون بالرعب إلى الرب إلهنا ويخافون منك» (مي ٧: ١٧).

وفي جميع هذه الآيات ليست القبلة مجرد قبلة بل قبلة تلحس التراب عن القدمين، وتشبه بالحية التي أساءت وحل عليها العقاب الأبدي «تراباً تأكلين» (تك٣: ١٤) ولسان حالهم يقول «أنا أحكم على نفسي بنفس ما حكم به على

الخبيث المسيء».

إنه يدعو ملوك الأرض وقضاتها إلى لحس التراب عن قدمي الابن ويقبلون صاغرين، تعبيراً عن عدولهم عن العصيان إلى منتهى الطاعة والخضوع والتذلل.

البكر: الرئيس، «رئيس ملوك الأرض» أرادوا. أم أبوا. من أبى منهم فليعجل بطلب المصالحة فتذللاً وإلا فالغضب.

-٥-

رأينا البكر أعلى من الملوك وهو أيضاً أعلى من الكهنة بكر الكهنة!

يقرن الرسول بولس في (عب٥: ٥-٦) بين البنوية ورئاسة الكهنوت. ويتحدث في عبرانيين عن فضل كهنوت المسيح على كهنوت لاوي.. هذا الموضوع خارج بحثنا ويكفينا منه:

أ- أن «الابن» رئيس كهنة.

ب- أنه رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق.

سبق القول إن لاوي أخذ بكورية الكهنوت، ويشرح الرسول في هذه الرسالة كيف أن ملكي صادق أخذ العشر من إبراهيم (وبالتالي من لاوي) أي أن ملكي صادق أعظم من هارون.

عندما كانت تقدم الأعشار كان عشر الشعب يقدم لسبط لاوي وعشر سبط لاوي يقدم لهرون أو الكهنة، ثم يؤخذ تذكار ذلك ويقدم للمذبح. وواضح أن آخذ

العشر أعظم من معطيه. أي أن ملكي صادق أعظم من هرون. لذلك فالمسيح الذي على رتبة ملكي صادق أعظم من هرون.

ولو عدنا إلى الفكرة المبدئية لثبت لنا أن المسيح هو البكر المميز كرئيس لرئيس الكهنة.

-٦-

يتبع بكوريته رياسته، ولزوم الخضوع وإلا فإنه الديان.

الأصل في الملك أنه قاضٍ وإن وصف عمله في كلمة واحدة فهي كلمة «يقضي» = اجعل لنا ملكاً «يقضي لنا كسائر الشعوب» (١صم٨: ٥) وقد ذكر عن داود أنه يجري «قضاء» وعدلاً لكل شعبه (٢صم٨: ١٥). وقد قال أبشالوم «من يجعلني قاضياً في الأرض؟» (٢صم١٥: ٤) ويقصد أن يملك.

ومن النبوات عن المسيا أنه يقضي للمسكونة بالعدل (إش٢: ٤، ٤: ٣) وهو ذات ما وصف به عمل الله (مز٩: ٨) انظر أيضاً (مز٥٨: ١١).

حتى الحروب التي يخوضها الملك تعتبر قضاء شعبه أي المحاماة عن حقوقهم وحريتهم وبلادهم.

هؤلاء القضاة يأمرهم أن «يتأدبوا» أمام قاضيهم (مز٢: ١٠) = البكر.

منظر لا يمكن أن يفوتنا هو منظر يوسف وقد أعلن نفسه لإخوته بقوله «أنا يوسف» (تك٤٥: ٣): والجواب تمثل في أن إخوته لم يستطيعوا أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه.. إنهم يتوقعون أى شيء كما يتوقع المتهم من القاضي أي

شيء... وعلى الكلمة التي ينطقها يكون مصيرهم.

هذا هو يوسف الذي «ساد» عليهم، والذي سجدت له حزمهم: كان هو بمثابة «البكر» بالنسبة لهم.

من المعتاد في أي أسرة أن يوجه الكبير الصغير، ويحترم الصغير الكبير. في بعض الأوساط ينادي الصغير الكبير «يا أبي» وذلك لأنه البكر. وقد يصل الأمر إلى أن يعاقب الكبير الصغير...

على أن كثيراً من أخطاء القضاء حدثت بين الإخوة وحدثت من الملوك، ومن القضاة.. حدثت في المجتمعات وحدثت في الكنيسة لهذا يحذر الرب: «اقضوا قضاء الحق... ولا تظلموا...» (زك٧: ٩ و.١، ٨: ١٦).

لكن البشر غلب فيهم أن يقضوا أقضية الظلم (إش.١: ١) وإخفاء القضاء بلا معرفة (أي٤٢: ٣) ويسمى ذلك اسماً خاصاً هو تعويج القضاء (أي٨: ٩، ٣٤: ١٢، أم١٧: ٢٢).

لكن التحذير من الدينونة له سبب آخر هو أن ذات القاضي (الذي يدين أخاه) غير كامل: «قال الرب لا تدينوا لكي لا تدانوا» (مت٧: ١-٦) «لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها» (رو٢: ١).

واحد فقط هو المؤهل للدينونة: الابن: البكر.

أحضروا إليه ذات مرة امرأة أقاموها في الوسط وقالوا له، يا معلم هذه المرأة

أمسكت وهي تزني في ذات الفعل وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت «قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون عليه» (يو٨: ١-٦). إن قال تُرجم شكوه إلى بيلاطس (الذي كان قد منع عليهم تنفيذ حكم الإعدام) فهو ذاته سيعدم كمتمرد. وإن قال لا ترجم اعترضوا عليه لكونه مخالف لناموس موسى. ويرفض كمسيح.

ما عمله الرب يسوع في المقام الأول أنه بحكمة خرج من المأزق. ولكن ذلك يؤكد أهليته كقاض ديان.

وتوجد بعض الأمور تحتاج إلى جلاء.

ماذا كان يكتب الرب على الأرض؟ ولقد كتب مرتين وبين المرتين استمروا يسألونه، وانتصب وقال لهم «من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر».

ما هي الخطية التي يتحدث عنها الرب؟

وما هو الحجر الأول؟

ولماذا كانت ضمائرهم تبكتهم؟

ولماذا خرجوا واحداً واحداً «مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين».

قالوا «هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل» أي أنهم يعرفون من يزني معها. فلماذا لم يحضروه معها ليلاقي نفس المصير؟ (لا. ٢٠: ١٠، تث٢٢: ٢٢) لأن الحكم عليه هو أيضاً؟

ما أتصوره وأرجحه في هذه القصة أن هؤلاء إما أنهم شركاء المرأة في هذه

الخطية ومن الكبير إلى الصغير... أو أن كبارهم أوحوا إلى صغارهم بالخطية معها أو على الأقل ساندوا من وجدوه معها. ووجدوا هذه فرصة يصطادون بها يسوع.

ما كان يسوع يكتبه يختص بترتيبهم من الكبير إلى الصغير. وعندما بدأ يكتب لم ينتبهوا إلى ما كتب واستمروا يسألونه فلما قال لهم «من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر».

خرجوا بحسب أسمائهم المكتوبة على الأرض وخطاياهم.

من هو صاحب الحق أن يرمي بالحجر الأول؟.. الشاهد (تث١٧: ٦ و٧) فإذا كان الشاهد شريكاً في العمل فهو تحت نفس الحكم وليخرج... الاسم مكتوب وبحسب ترتيب متقن والضمير يبكت فخرجوا من الشيوخ إلى الآخرين.

إن صح هذا الافتراض يكون معناه أن الشاهد الذي بلا خطية الذي يرمها أولاً بحجر غير موجود. فالشاهد لا يرمي نفسه أيضًا بحجر.

وحتى لو صح هذا الافتراض كان (١) بحسب نظر الرب يسوع أن القاضي يجب أن يكون بلا لوم ولم يوجد غير يسوع بهذا الوصف (٢) عرف يسوع خفاياهم وأظهرها لهم بطريقة تدعوهم للدهشة أشبه بعمل يوسف (تك٤٣: ٣٣) إذ لا يفعلها إلا العليم. والعليم عارف الخفايا هو الذي يستطيع أن يدين بعدل (٣) صاحب السلطان المبكت والمسكت، الذي لا يناقش في أحكامه (مت٢٢: ١٢) هو وحده الذي يصلح للدينونة. (٤) الديان يجب أن يكون عادلاً غير محاب مثلما حابوا الرجل واستذنبوا المرأة. (٥) القاسي لا يصلح للقضاء. إن

من يستطيع أن يغفر فقط هو الذي يستطيع أن يدين.

كانت هذه جميعها من مؤهلات الرب القاضي: الديان العادل.

على أن أمرين آخرين قد اختص بهما الرب يؤهلانه للدينونة هما شخصه وعمله الفدائي.

أما شخصه فباعتباره «الابن» وهو الابن الوحيد والجميع غيره يمثلون للدينونة. قال الرب «لأن الآب لا يدين أحداً بل أعطى كل الدينونة للابن» (يو٥: ٢٢). فمن حيث أنه الابن فهو الديان. وقد علم الرب بهذا في عدة مناسبات كمثل الوزنات[1] (مت٢٥: ١٤-٣٠)، وقد وصف مشهد الدينونة: الديان على كرسي مجده، أمامه جميع الشعوب، يميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء.. لا يقدر أن يفعل ذلك إلا الابن العليم، صاحب السلطان. ويدعوه أيضاً «الملك» (ع ٣٤).

لكن ما معنى «وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان» (يو٥: ٢٧).

هنا نأتي بالأمر الآخر وهو أنه اختص بالدينونة من منطلق كونه وسيطاً.

«ابن الإنسان» هو اللقب الوارد عن المسيح في نبوءة دانيال (دا٧: ١٣ و١٤) ويتحدث هناك عن سلطانه وملكوته. ويصفه بأنه «كشبه بني آدم»

---

(١) قبل مثل الوزنات (مت٢٥: ١٣) يتحدث عن مجيء ابن الإنسان. وبعد المثل (ع ٣١) يتكلم عن مجيء ابن الإنسان وللدينونة، وبينهما مثل الوزنات استمراراً للحديث أي هو السيد الذي يحاسب عبيده.

(دا. ١: ١٦) والأوصاف التي يصفه بها هي أوصاف إلهية. أي أنه الله المتجسد.

فباعتبار أن المسيح هو الله المتجسد فهو الديان. لكن علاقته بالدينونة هي لأنه الوسيط. يسأل الرسول: «من هو الذي يدين؟» ويجيب: «المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله. الذي أيضاً يشفع فينا» (رو٨: ٣٤). ويقول أيضاً «لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيانا إذ أقامه من الأموات...».

خلاصنا استلزم: (١) وسيطاً جمع اللاهوت والناسوت، قد وفّى مطاليب بر الله ورحمته (٢) صليباً وقيامة فيهما تم حق العدل والرحمة، وفيهما قبلت ذبيحته الكفارية (٣) فرصة النعمة وتقديم الإيمان وتأثيرات روح الله، قبل أن يدين.

هكذا جاء «الابن» ابن الإنسان «لا ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو٣: ١٧) لكن من لا يؤمن بابن الله الوحيد (ع ١٨): من يحب الظلمة أكثر من النور فإنه (١) يحتقر الابن: الوسيط (٢) يرفض طريق الله لخلاصه، بما يمثله ذلك من قساوة لقلب غير تائب وعدم تقدير للمحبة التي ضحت لأجله. (٣) يزدري بروح النعمة: جدف على الروح القدس: «مستوجب دينونة أبدية» (مر٣: ٢٩) انظر (رو٢: ٤ و٥، عب. ١٠: ٢٩).

فالمسيح هو المخلص: من يرفضه مخلصاً، لا يستطيع أن يتجنبه دياناً. من يحتقر وداعته ومحبته ولطفه، ويل له من غضب الخروف الأسد: (رؤ٦:

١٦-١٧).

وهو الديان باعتباره الإله المتجسد، الفادي الوسيط رئيس الكهنة العليم بضعفاتنا قادر أن يرثي لها (عب٤: ١٥). فما لم نصغ إليه وإلى ندائه وخلاصه فلسوف نواجه الدينونة من غضبه الذي لا يحتمل!!

وهو بهذا «الله الإنسان»: الديان: هو البكر.. فداؤه فيه خلاصنا. إن قبلناه طوبى لنا.. وإلا فلن نتجنب السجود له «تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي يشفع فينا». هذا المخلص هو ذاته الذي سيأتي دياناً (رو٨: ٣٤) ومن لا يعترف به مخلصاً سيعترف به دياناً ومن لم يسجد له رباً سيسجد له قاضياً.

-٧-

البكر = الأعلى من ملوك الأرض = ملك الملوك ورب الأرباب = خادم!

وَرُبَّ سائل أهكذا يكون الجزء الختامي من فصل يتحدث عن أمجاد المسيح؟ الجواب بكل بساطة هكذا يرى المسيح ملكوته.

في قيصرية فيلبس حيث مدح الرب إقرار بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، بدأ إعلان الرب لتلاميذه «أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (مت١٦: ١٣-٢١).

لكن بطرس وكذلك بقية التلاميذ كانت عندهم فكرة أخرى عن المسيح: أنه ملك، وهم شركاء ذلك الملك. لذلك أخذه بطرس إليه وابتدأ «ينتهره قائلاً: حاشاك يارب. لا يكون لك هذا!. فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان.. أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (ع ٢٢ و٢٣).

كان بطرس يرى أن آماله في الملك والعظمة ستتلاشى لو صلب المسيح. وقد تعمد الرب أن يثير هذا الموضوع بمجرد إدراكهم أنه المسيح، لكي يظهر لهم أنه المسيح الذي جاء ليموت تكفيراً عن خطايانا، ثم يقوم. ولكنهم كانوا يريدون مسيحاً بصورة أخرى، ملكاً على عرش داود.

وكثيراً ما «داخلهم فكر». «وعلم يسوع فكر قلوبهم» (لو٩: ٤٦ و٤٧).

وكثيراً ما تحاجوا في الطريق إلى كفر ناحوم، بما سبق أن فكروا فيه وهو «من هو أعظم» (مر٩: ٣٣ و٣٤). ووصل بهم الأمر أن حدثت مشاجرة بينهم «من منهم يظن أنه يكون أكبر» (لو٢٢: ٢٤). ومرة سألوا يسوع: «من هو أعظم في ملكوت السموات؟» (مت١٨: ١).

وكان جواب يسوع أن «دعا إليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال: «الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت١٨: ٢-٤). ومرة وسّط اثنان من التلاميذ أمهما (وهما يعقوب ويوحنا ابنا زبدي). كي تطلب عنهما أن يجلسا الواحد عن اليمين والآخر عن اليسار في ملكوته (مت٢٠: ٢٠ و٢١). وكان جواب الرب «لستما تعلمان ما تطلبان». وبيّن لهما أن ملكوته كأس تشرب، وصبغة يُصطبغ بها.. لا مكان

يجلس فيه.. ولا طلب للعظمة.

واغتاظ العشرة. وأجابهم إن ملكوته ملكوت الخدمة لا العظمة.

وحتى آخر أوقاته، كان الرب يقاوم فيهم هذه الفكرة قائلاً: «ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يُدْعون محسنين، وأما أنتم فليس هكذا بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم. لأن من هو أكبر. ألذي يتكيء أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكيء. ولكني أنا بينكم كالذي يخدم» (لو٢٢: ٢٤-٢٧)، وكان ذلك إشارة إلى غسل أرجلهم الذي عمله منذ قليل (يو١٣: ١-١١) انظر أيضاً (يو١٣: ١٣-١٥).

ولقد نبر الرب على ذلك في تحذير لهم من الكتبة والفريسيين (مت٢٣: ١ و٢) الذين «يحبون.. التحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدي.. وأما أنتم فلا تدعون سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة.. وأكبركم يكون خادماً لكم» (ع ٦-١٢).

صعق بطرس من منظر الرب يخلع ثيابه ويريد أن يغسل رجليه، ومانع في ذلك جداً. هذا لا يليق: الملك يعمل عمل الخدم؟! لكن الرب قال له: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب». ورضخ بطرس (يو١٣: ٦-١١). وحتى القيامة كانت آمالهم في المسيح أن «يفدي إسرائيل» طبعاً من حكم الرومان (لو٢٤: ٢١). وحتى الصعود كانت آمالهم منعقدة على إرجاع المُلك إلى إسرائيل (أع١: ٦). وأجاب يسوع بما نبر على المسئولية وعلى عون الروح نحوها.

هنا ملكوت قبل العظيم فيه أن يكون خادماً، والكبير متواضعاً، ملكوت فيه إنكار النفس. قال لهم بعد أن غسل أرجلهم: «أتفهمون ما قد صنعت بكم. أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض.لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً» (يو١٣: ١٢-١٥).

ملكوت، قدم الملك فيه نفسه على الصليب فداءً، ويطلب فيه أن يحمل تلميذه صليباً ويتبعه. ولن يقدر على ذلك إلا إذا اتحد مع المسيح في الصليب. «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). عندئذ يحمل الصليب، لأن الـ «أنا» صلبت.

وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٥). بهذا يختفي فكر العظمة والكبرياء ويمتلىء القلب تواضعاً ووداعة.

هذا هو البكر.. العظيم في تواضعه، والذي هو الآن مثلنا الأعلى. وهو الملك الذي تربع على قلوبنا بالمحبة التي علقته على الصليب، فسكب في قلوبنا المحبة «كما أحبنا» أي فضلاً... ولذا يجب أن نحب من لا يستحق.. حتى الأعداء. محبة وتضحية فيخال لك أن هذه هزيمة. لقد فكروا هكذا في الصليب. لكن القيامة عدلت المفاهيم. وانتصار نعمة الله عن طريقك تغير المفاهيم. ودائماً المحبة المضحية هي الرابحة.. المنتصرة. هذا هو ملكوت الله، وهذا هو

ملكه البكر. سيد ومعلم يغسل الأرجل (يو١٣: ١٢-١٧).

مُلكه كأس وصبغة يشترك فيهما الملوك معه. وبهذا يجلس في القلوب. ملكاً.. انظر إلى أي حد مَلَكَ على إرادة تابعيه.

لأنه ليس أحد منا يعيش لذاته، ولا أحد يموت لذاته، لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (رو١٤: ٧ و٨).

وكما قال الرسول بولس «يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أو بموت» (في١: ٢٠).

«لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع٢٠: ٢٤).

هكذا شريك ملك المسيح. خادم، محب، متألم، يخال لك أنه انهزم. وما أمجد هؤلاء الملوك الذين «ذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه» (أع٥: ٤١)، وهم بهذا يتبعون البكر.. الملك.

الفصل السادس

"بكراً بين إخوة كثيرين"

(رو٨: ٢٩)

وردت هذه الآية في فصل ظل زمناً مثاراً للجدل، ومادة للدرس.[1] وأرجو أن نكتفي بالدرس في ما يمس موضوع البكر: بين إخوة كثيرين.

-١-

ونبدأ بدرس هدف اختيار النعمة: «سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه». وكلمة: صورة هنا تخرج عن مجال «المنظر»، لأنه بهذا المعنى يرد عن الابن «أبرع جمالاً من بني البشر» (مز٤٥: ٢)، ومن جهة أخرى «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه» (إش٥٣: ٢). وطبعاً لا هذا ولا ذاك يصدق على «إخوته» المختارين ليكونوا مشابهين صورته.

كذلك لا يقصد بالصورة ما قيل عنه: «إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت

(١) في هذا الفصل مادة جدل حول الاختيار، وحرصاً على عدم إعادة ما ذكرت في كتاب «قضاء الله ومسئولية الإنسان»، انظر الفصلين الخامس والسادس.

الصليب». فلا المقصود بها صورة اللاهوت ولا صورة التجسد. بل المقصود هو: «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه».

(كو٣: ١٠) «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف٤: ٢٤). «لكي تصيروا بها (المواعيد) شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة» (٢بط١: ٤).

«الذين هم مدعوون حسب قصده» (ع ٢٨). مدعوون إلى مشابهة صورة ابنه. قصد في الأزل أن يكونوا مشابهين صورة ابنه. أي أن يكونوا عائشين حياة أبناء الله: «كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة» (٢بط١: ٣). «عينهم ليكونوا مشابهين». كان هذا هو هدف اختيارنا. اختارنا لنكون أولاده خلف الابن البكر.. بحكم كونه «ابن الله» يحيا حياة ابن الله. اختار الله أن يجعل له إخوة -أبناء الله- يحيون حياة ابن الله. وقد عينهم ليكونوا هكذا.

لله ابن فرد (وسيد) باللاهوت، لكن قصد الآب أن يعين له إخوة كثيرين مشابهين صورته، والابن الفرد هو البكر فيهم.

وبهذه المناسبة لا يفوتنا أن نقدم بعض التعليق على كلمة «كثيرين»، فهم كثيرون عدداً ولكنهم ليسوا كذلك بالنسبة إلى باقي البشر. فيذكر الرب يسوع أن كثيرين يدخلون من الباب الواسع!! الهلاك. وأن قليلين هم الذين يدخلون من الباب الضيق والطريق الكرب (مت٧: ١٣ و١٤).

لكن هؤلاء القليلين نسبة، هم كثيرون عدداً فعلاً.. هم «جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة»(رؤ٧: ٩). ويوصف العمل الفدائي المتمم لاختيار الله بأنه: «آت بأبناء كثيرين إلى المجد» (عب٢: ١٠). على أنه ليس من قبيل الجدل يقال كثيرون أو قليليون. فقد سأل الرب يسوع واحد قائلاً «يا سيد أقليل هم الذين يخلصون؟» (لو١٣: ٢٣). فرد عليه الرب معلناً أن المهم ليس عدد الذين يخلصون بل انتهاز الفرصة المقبولة للخلاص، وأن عدم الاتكال على التراث الديني بل اختبار نعمة الخلاص هو الأهم. لكن لكي يطمئن قلبك يذكر لك أن عدداً لا يحصى هم جمهور المخلصين.. وأنت منهم إن أصغيت إلى الصوت الذي يدعوك دعوة فعالة بعد ما عينك. فقصده ونعمته يؤديان إلى خلاص «المدعوين حسب قصده»، «ومخلصون».. تعني «مشابهون صورة ابنه». وخلاصهم هو نتيجة تتويجه بكراً عليهم.

هؤلاء دعاهم، بررهم، مجدهم (ع ٣٠).

«دعاهم» حسب قصده ليكونوا مشابهين صورة ابنه. «بررهم» ليكونوا مشابهين صورة البار القدوس الذي دعاهم، الذي نظيره يجب أن يكونوا قديسين في كل سيرة (١بط١: ١٥).. وهكذا حتى ينالوا كل امتيازات الابن بما فيها «مجدهم أيضاً». إنه آت «بأبناء كثيرين إلى المجد». هذا هو هدف اختيارك.. أن يصيرك ابناً لله أخاً «للابن» مشابهاً صورة أخيك الابن البكر (عب٢: ١٠).

-٢-

يقصد بالتبني دعوة المعينين لأن يصيروا «أبناء الله» - إخوة «للابن الوحيد»: ليكون بكراً بين إخوة كثيرين. وهم لم يكونوا أبناء أصلاً.

هو «الابن الوحيد» له «مجد الوحيد من الآب» (يو١: ١٤)، عندما بذل نفسه فداءً عنا، باعتباره «الابن الوحيد» (يو٣: ١٦). وكان هذا أعظم تعبير من الآب عن محبته نحونا (١يو٤: ٩)، ومن لا يؤمن يدان باعتباره رفض «ابن الله الوحيد» (يو٣: ١٨).

وهل لله ابن؟ هكذا يقول البعض مستنكرين فكرة بنوة المسيح. قد آمن الوثنيون بالتزاوج بين آلهتهم والبشر. أو آلهتهم وإلاهاتهم.. ونتج عن ذلك من دعوه (ابن الله). لكننا لا نؤمن بهذا ونستنكره. نحن نرفض البنوة التناسلية. وبالتالي ليس لله ولد بهذا المعنى.

ما نقره هو أن جوهر الابن هو جوهر الآب. وهذا ما فهمه وعلم به الأقدمون. وهذا ما فهمه اليهود. عندما قال يسوع إنه ابن الله، وعندما سألهم يسوع: «أعمالاً (كثيرة) حسنة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً. أجابهم يسوع... فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله؟» (يو. ١: ٣٤-٣٦)، ودلل يسوع على أنه يقول حقاً بقوله: «إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا

وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه» (يو.١: ٣٧ و٣٨). أما الأعمال فقد سبق الحديث عنها (راجع فصل بكر كل خليقة) حيث الحديث عن الابن كخالق وكل أعمال معجزاته يظهر فيها مسحة الخلق. هذا فضلاً عن علم الغيب وغفران الخطايا التي كان له وحده سلطان عليهما:[1] كابن الله وهو وحده الديان كابن لله أيضاً.[2] بل دعي الله (١يو٥: ٢٠). وحال في كل مكان (يو٣: ١٣، مت١٨: ٢٠) وهو السرمدي (عب١٣: ٨).

كانت مشكلتهم أنه «وهو إنسان» يجعل نفسه «إلها». ولقد كان حقاً إنساناً، لكنه أيضاً إله. ولعدم علمهم بطبيعته نسبوا له التجديف لأنهم أدركوا ناسوته وليس لاهوته. هذا هو معنى «ابن الله». وهو بهذا «وحيد» لكن «إخوته» الكثيرين ليسوا أولاد الله أصلاً، بل في «فخ إبليس» (٢تي٢: ٢٦)، أولاد الظلمة (كو١: ١٣ - ١بط٢: ٩) أبناء الغضب (أف٢: ٣)، تحت لعنة (غل٣: ١٠)، بلا رجاء (أف٢: ١٢). هؤلاء عينهم ليغيرهم من عبودية الفساد والهلاك إلى حرية مجد أولاد الله (رو٨: ٢١).

لم يكونوا أصلاً أولاداً بل صيرهم إذ تبناهم، ويشرح الرسول بولس هذا بوضوح بالقول «كنا مستعبدين تحت أركان العالم ولكن لما جاء ملء الزمان

---

(١) علم الغيب (انظر يو١: ٤٨، ٢١: ١٧، يو٤: ٥٠، ١١: ١١-١٤، مت٩: ٤، ١٢: ٢٥، لو٦: ٨) وغفران الخطايا (انظر مت٩: ١-٨). وذلك بحكم كونه قدم الدم الذي به تغفر الخطايا (عب٩: ٢٢).

(٢) الديان (انظر يو٥: ٢٢، رو٨: ٣٤، ٢كو٥: ١٠) وانظر الفصل السابق.

أرسل الله ابنه (الوحيد) مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً«يا أبا الآب» (غل٤: ٣-٦).

وكانت العادة وقت كتابة هذه الآيات أن يذهب من حُرِم من النسل إلى سوق النخاسة فيشتري عبداً ثم يعتقه رسمياً.. ثم يتبناه. وقد اتخذ الرسول هذا إيضاحاً لعمل المسيح لنا.. أتى إلى العالم (سوق النخاسة)، واشترانا بالدم ثم أعلن عتقنا من الخطية وإبليس وتبنانا لله (إخوته الكثيرين).

ومفهوم أن المُتَبنَى ابن شرعاً وقانوناً، وله كل حقوق الابن: الاسم، الميراث، الكفالة.. الخ. وقد وهبنا الله كل حقوق أبناء الله.

لكن هذا الأمر عجيب.. من يفعله؟ المحروم من النسل. قد يفعل ذلك لكي «يصنع» لنفسه ابناً يحمل اسمه وينال ميراثه. وعادة يتبنى المرء ابناً ثم بعد ذلك ينجب.. ومع هذا لا يتخلى عن الابن المتبني ويعتبره الأكبر. لكن هنا أشياء عجيبة.

هذا الاله له ابن وحيد مساوٍ له في الجوهر. ومن يأتي فهو في المرتبة بعده، لأنه الوحيد البكر.

على أن أعجب شيء في هذا أن الابن ذاته.. البكر.. هو الذي قام بالعمل الفدائي نحو التبني، وهو الذي دفع الثمن من أجل الآخرين لكي يكونوا «شركاء» له. البكر ذاته هو الذي اشتراهم وحررهم (رؤ٥: ٩ - يو٨: ٣٦).

حقاً إننا أبناء بمحبة فائقة من الله لنا (١يو٣: ١). ولنا المواعيد العظمى والثمينة (٢بط١: ٤) . لكنه «البكر» ويجب أن يتم خضوعنا لبكرنا.

-٣-

«ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» مشابهين صورته. هو المثل الأعلى وهم يقتدون به، هو ابن الله، وهم بنو الله، خلفه.

مرة قيل عنه: «إنه شابه إخوته، لقد لزم من أجل كهنوته«لكى يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يكفِّر خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجرّباً يقدر أن يعين المجربين».. من أجل ذلك «كان ينبغي أن يشبه إخوته **في كل شيء**» (عب٢: ١٧ و١٨) وكل شيء مقصود به «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويُعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (ع ١٤ و١٥)، وبهذا بكرهم يصير رئيس خلاصهم. **فكل شيء هنا** تعني الجسد (اللحم، والدم) وما يتبع ذلك من حاجة الجسد وتعبه وآلامه وموته». (ع ١٠ و١٤).

بهذا هو «يشبه إخوته».. النزول والتجسد لأجل العمل الفدائي.. آخذاً صورة «عبد» (وهو الابن) صائراً في «شبه الناس» وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (في٢: ٦ و٧).

ابن الله أخذ صورة عبد لكي يصير العبد ابناً لله.

وهو عندما شابه إخوته كان ذلك في كل شيء عدا الخطية (عب٤: ١٥)،

لكنه عندما يرفعنا لكي نكون مشابهين صورته، فنحن نكون مشابهين له في كل شيء عدا اللاهوت. صحيح أننا صرنا «شركاء الطبيعة الإلهية» ذلك أننا صرنا «هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة».. شركاء الطبيعة الإلهية، في الفضيلة، والمعرفة، والتعفف، والصبر، والتقوى، والمودة الأخوية (٢بط١: ٤-٧) نظير «القدوس» الذي دعاكم: كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة (١بط١: ١٥). جاء الابن «تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» (١بط٢: ٢١).

ويفصِّل ذلك بالقول «الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد...» (١بط٢: ٢٢ و٢٣)، يطلب منا أن نكون «كاملين كما أن (أبانا) الذي في السموات هو كامل» (مت٥: ٤٨).

فقد آدم صورة الكمال. أعطاه الله الناموس لكي يريه المستوى المطلوب وليس أقل من ذلك، بل وضح الرب يسوع أن مطاليب الله، أكثر من الناموس - أكثر حتى من بر الكتبة والفريسيين (مت٥: ١٧-٢٠).

وقد فشل الإنسان أن يصعد إلى مطاليب الناموس، وبالتالي إلى بر الكتبة والفريسيين، وبالأولى إلى «أزيد من بر الكتبة والفريسيين.. «الكمال». لكن يسوع ابن الله البكر - جاء لكي يهب «إخوته» أن يكونوا «مشابهين صورته». لأنه «ما كان الناموس عاجزاً عنه فيما كان ضعيفاً بالجسد» -(أي فشل الناموس لأنه يتركني لقوتي فلا أستطيع وفاء مطاليبه)-، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم

الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رو٨: ٣و٤) صلب ومات وقام.. ونحن بالإيمان به نتحد معه بعمل الروح الذي يوحدنا فيه فيتم فينا «مع المسيح صلبت. فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). وبهذا الصلب انتهت عبوديتي لإبليس، وانتهى سلطان الخطية عليَّ. بهذا انطلقت حراً - حررني «الابن» أحيا: لا أنا - تأتي حياة أخرى هي حياة المسيح فيَّ. وهذه هي جِدة الحياة: ذلك لأني «أنا» مصلوب وانتهى. الحي هنا حي في الإيمان «إيمان ابن الله».

مشابهين صورة ابنه، لأن ابنه هو الحي فيهم. ألغيت رابطة الخطية بحياتهم. بقيت تجربتها فقط لكن الارتباط صار «بابن الله» والانقياد «لروح الله» روح ابنه: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤) وبقدر ما نعطي الروح فرصة، وبقدر انقيادنا إليه، وبقدر رفضنا للخطية (التي صارت الآن خارجنا)، بقدر ما تكون قداستنا وصدق مشابهتنا لصورة ابنه.

قدم لنا مثالاً، وقدم لنا الوسيلة للوصول إليه - تغييرنا وحياته فينا: ابن الله يعيش في أولاد الله ويظهر فيهم كلامه وأعماله وسلوكه ومحبته وكماله. «مشابهين صورة ابنه».

بنوتنا لله هبة «أعطانا» (١يو٣: ١) وأعطاها لنا بسلطان (يو١: ١٢) وفي ذلك صارت مشابهتنا لصورة ابنه، بحياته فينا، وإظهار كماله.

هي هبة لكنها أيضاً مسئولية - أن نحيا أولاداً لله، أو في كلمات الرسول: «لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء **أولاداً لله** بلا عيب في وسط جيلٍ معوجٍ وملتوٍ

«تضيئون بينهم كأنوار في العالم» (في٢: ١٥).

وهل الكمال ممكن؟ إنه يتحدث إلى من يطلب منهم الكمال – من يسعون إلى الكمال ويعتبرهم بما يؤمل فيهم – كاملين. يسميهم قديسين (رو١: ٧، ١كو١: ٢، ٢كو١: ١، أف١: ١، في١: ١... الخ). وجميع هؤلاء يوجه إليهم النصح واللوم ويطلب منهم الإصلاح... لكنهم ساعون في طريق القداسة: قديسون.

وهذه هي مسئوليتهم: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته. لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات». مسئولية معرفة المسيح والمعيشة بحسب ذلك القانون (في٣: ١٠ و١١ و١٦). وعندما يلقى نظرة إلى نفسه، يقول: ليس أني قد نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع: «أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في٣: ١٢-١٤).

البكر هو «الصورة» الكمال: مثالاً لنا

والبكر هو الطريق إلى الكمال بخلاصنا والحياة فينا.

والبكر هو هدفنا الذي نسعى أن نكونه: «مشابهين صورة ابنه».

-٤-

ياله من شرف، يالها من رفعة: رفعنا الله إلي بنوة له، إلى «مشابهين لصورة ابنه» «ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين».

١- بهذا رفعهم إلى أن يكونوا إخوته: «ولا يستحي أن يدعوهم إخوة» (عب٢: ١١).. إلى مقام أبناء الله.

٢- بهذا رفعهم إلى طبيعة أشبه بطبيعته، وقد كانوا «أمواتاً بالخطايا». (أف ٢: ١ و٥) أبناء الغضب (أف٢: ٣) كانوا «ببطل ذهنهم إذ هم مُظلمو الفكر.. فقدوا الحس.. أسلموا نفوسهم للدعارة (أف٤: ١٧-٢٢) يحيون في «مرارة وسخط، وغضب، وصياح، وتجديف مع كل خبث». (ع ٣١) في بغضة وحقد وقتل وحرب وخيانة.. تغير كل هذا إلى صورة مشرقة جميلة «كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مُسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح» (في٤: ٨).

«أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو١: ١٣).

٣- رفعة إلى محبة لا تصدر إلا من الله ذاته. يطلبها من أولاده «أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»، ويقول هذه هي محبة الله وأنتم افعلوا ذلك «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت٥: ٤٤ و٤٥). قد أحبنا، وفي المقابل لا يوصي بأن يتجه إليه حبنا بل إلى بعضنا بعضاً «كما أحبنا» (يو١٣: ٣٤). ذلك لأنه ليس صحيحاً ولا منطقياً أن نحبه كما أحبنا. فإنه أحبنا فضلاً (هو١٤: ٤) وقد كنا أعداء لا نستحق محبته (رو٥: ٦-٨). ونحن لا نستطيع أن نكون أصحاب فضل على الله والذي لا يجوز التفكير فيه أن يكون الله غير مستحق

محبتنا.. بل علينا أن نفعل ذلك بالذين لا يستحقون محبتنا من البشر. وبهذا نكون قد افتدينا بمحبته، وقد رددنا صداها...وهذا ذاته مطلب رفيع جداً.. إنه الكمال (مت٥: ٤٨).. إنه الامتلاء إلى كل ملء الله (أف٣: ١٩ - قارن ع١٨ و١٩) بمعرفة اختبارية وتطبيق لمحبته. ما أعظم عرضها وطولها وعمقها وعلوها: محبة المسيح الفائقة المعرفة.. هذا المطلب الرفيع يقول عنه «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» (رو٥: ٥)، ذلك أن الروح يسكن المسيح في قلوبنا لكي يجري بنا محبته (أف٣: ١٦و١٧، ع١٩). فكّر في أنك تعيش عيشة الله، تحب محبة الله وتكمل كمال الله.. إلى أي عظمة رفعنا إلهنا؟!

٤- «مشابهين صورة ابنه» رفعة إلى حد جعلنا إخوة بعضنا للبعض. ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.

قد تأملنا في كوننا إخوة له: وهو البكر.. نحن أيضاً من جانب آخر إخوة أحباء بعضنا لبعض (١يو٤: ٧-١١). وقد تغير الشقاق والعداوة إلى المحبة والسلام. أى إلى عالم جميل رائع تسود فيه المحبة حيث يعتبر الجميع بعضهم بعضاً إخوة تربطهم تلك العلاقة التي ربطتهم «بالبكر» المحبة!!.

٥- رفعنا إلى ميراث ثمين: نرث مع البكر. ومن المعروف شرعاً أن ميراث البكر أعظم - لكن ذلك «الأخ» الذي لم يكن له شيء صار وارثاً مع الابن (رو٨: ١٧): «ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلنا» (١بط١: ٤). ترث البركة (عب١٢: ١٧ - غل٣: ٩و١٤). ترث الحياة الأبدية (مت١٩: ٢٩)، ترث الملكوت المعد منذ تأسيس العالم (٢٥: ٣٤).

وكما أن البكر وارث لكل شيء (عب١: ٢) هكذا نحن أيضاً «من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهويكون لي ابناً» (رؤ٢١: ٧).

٦- من حقوق البكر الرئاسة، والكهنوت. والمفروض أنهما له لكن يقول الكتاب «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه». (رؤ١: ٦). المفروض أنه سيدنا: البكر.. جعلنا معه سادة. المفروض أن له وحده القدوم إلى الآب ككاهن. جعلنا «كهنة» إذ لنا «ثقة بالدخول إلى الأقداس» بدمه (عب١٠: ١٩) وهو رئيس كهنتنا (عب٦: ٢٠). ولكن أي كهنوت أعطاه لنا؟ له وحده التوسط لدى الله من جهة خلاصنا الذي أساسه دمه على الصليب (١تي٢: ٥ و٦، عب١٢: ٢٤). هو الشفيع فينا عند الآب باعتباره هو الكفارة وهو ولا سواه (١يو٢: ١ و٢). ولا يدخل في ذلك دخيل... إنه أمر بين الخاطيء وإلهه عن طريق فاديه (البكر) لنا حق الاعتراف إلى الله بخطايانا مباشرة، وقد وعد بقبولنا، وبالغفران (عب١٠: ١٩-٢٢، ٧: ٢٥). ولنا أن نقدم «في كل حين لله ذبيحة التسبيح.. أي ثمر شفاه معترفة باسمه» و«فعل الخير والتوزيع. لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله» (عب١٣: ١٥ و١٦). ولنا أن نقدم أجسادنا «ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتنا العقلية» (رو١٢: ١). ولا يذكر الكتاب أي ذبيحة دموية يقدمها المؤمنون أو يقدمها أحد في روح العهد الجديد بل «ذبائح روحية» (١بط٢: ٥). ويذكر أن مقدمي هذه الذبائح الروحية.. المطلوب منهم السعي إلى النمو باللبن العقلي، الذين ذاقوا أن الرب صالح، المبنيون كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً - أي جميع المؤمنين (ع ١-٥).

٧- رفعنا إلى شركة أمجاده (يو١٧: ٢٢ - رو٨: ١٧ و١٨).

٨- رفعنا إلى شركة آلامه. وعادة ما يذكر هذا الأمر كعبء وصليب يتحمله المؤمن للحصول على الأمجاد. لكننا نرى في ما يقوله الكتاب أن هذا هو هبة من الله «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في١: ٢٩). أساساً دخلت الآلام والأتعاب إلى العالم عقاباً بسبب الخطية. ولكن هنا تغير الأمر فيها بعد نوالنا فداء الابن، وبعد صيرورتنا أبناء، فصارت «فخراً» (غل٦: ١٧)، وسروراً (٢كو١٢: ١٠) وشرفاً (أع٥: ٤١)، صارت شركة في آلام المسيح.. البكر.. تمجد الله.. مدعاة للطوبى.. إنها «روح المجد» الحال علينا (١بط٤: ١٢-١٩).

إنه امتياز أن نكون مثله وسائرين وراءه حاملين الصليب. أي بكر «ساد إخوته» (لو٢٢: ٢٥) «وارتفع قلبه على إخوته» (تث١٧: ٢٠). لكن الرب، الإله، الابن، «السيد والمعلم» (يو١٣: ١٢-١٧). دعاهم إلى شرف كماله، وملكه، وكهنوته، ومجده، وفي هذا وجد مسرته في أن يموت عنهم ويرافقهم إن تألموا لأجله.

الفصل السابع

"البكر المرفوض"

مرفوض ممن؟ من الله. وطبعاً واضح أننا لا نتحدث عن المسيح البكر المقبول من الله. صحيح أنه كان حجراً حياً مرفوضاً من الناس. ولكن مختار من الله كريم (١بط٢: ٤)، الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية (مت٢١: ٢٢) محتقر ومخذول من الناس - وكمُستَّرٍ عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به» (إش٥٣: ٣). إنما أقصد «بكراً» آخَراً مرفوضاً. ومن الله رفضه. وقع على الحجر الكريم «فترضض، وعاند حتى سقط عليه الحجر فسحقه» (مت٢١: ٤٤). كيف ذلك؟ دعنا نرى كيف رُفض إسرائيل.

-١-

سبقت الإشارة إلى مقام إسرائيل في العهد القديم.. دعنا نراجع ذلك، مع بعض التوسع. يدعوه الله «إسرائيل ابني البكر» (خر٤: ٢٢) لأني صرت لإسرائيل أباً وأفرايم هو بكري». (إر٣١: ٩) هنا يعطي للشعب شخصية اعتبارية. فإذا اعتبرنا كل شعب من الشعوب فرداً.. فهؤلاء الأفراد يكون إسرائيل بينهم البكر.

وقد خاطب الرب هذا الشعب بفم موسى في عدة مناسبات مبيناً اختيار الرب له وأساسه ونتائجه (انظر خر١٩: ٥، تث٧: ٦-٩، ٩: ٦، ١٤: ٢، ٢٦: ١٨

و١٩). من هذه الفصول نرى:

أ- للرب كل الأرض. ولكنه اختار من بين جميع الشعوب إسرائيل.

ب- اختارهم ليكونوا له شعباً خاصاً. أخص من جميع الشعوب.

جـ- أعطاهم هذه الأرض الجيدة.

د- وعدهم أن يجعلهم شعباً مستعلياً على جميع القبائل التي عملها: في الثناء والاسم والبهاء وأن يكونوا شعباً مقدساً للرب.

هـ- اختارهم ليس لكونهم أكثر من الشعوب (لأنهم أقلهم) ولا لأجل برهم (لأنهم شعب صلب الرقبة). بل من محبة الرب إياهم وحفظه القسم الذي أقسم به لآبائهم.

أي فَضّلهم وعلاَّهم في الثناء والاسم والبهاء ليس لسبب فيهم. بل من أجل عهده هو.

لذلك أخرجهم من أرض مصر لكي يكونوا له شعب ميراث (تث٤: ٢٠)، وبعد سنين كثيرة ذكّرهم بما عمل لهم. لما كان إسرائيل غلاماً أحببته «ومن مصر دعوت ابني» (هو١١: ١). ومن أجله نفذ الرب وعيده ضد مصر وضربها بضربات عشر (تث١١: ٢و٣). وأخرج شعبه بيد رفيعة (خر١٤: ٨)، ثم على حد قول موسى لهم «وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حيث جئتم إلى هذا المكان» (تث١: ٣١). «وطرد الأمم من قدامهم وقسمهم بالحبل ميراثاً ميراثاً وأسكن في خيامهم أسباط إسرائيل» (مز٧٨: ٥٥). «مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم في

البرية» (أع١٣: ١٨). احتمل قساوة قلوبهم «كما في مريبة مثل يوم مَسَّة في البرية حيث جربوه» (مز٩٥: ٨). فاحتملهم في عقاب أحياناً، وصفح أحياناً، ودربهم: أذلهم وأجاعهم وأطعمهم المن في البرية.. حافظ على ثيابهم من البلى وعلى أرجلهم من الورم (تث٨: ٣-٤). أدبهم كما يؤدب الإنسان ابنه (ع ٥). حارب حروبهم: عوج ملك باشان وسيحون ملك حشبون (تث٣: ٣ و٦ و٢١). وقد فعل كما قال لهم بأنه حارب عنهم (ع ٢٢).

وطّنهم، وثبتهم، وأسكنهم، وأعطاهم ناموسه، وكوّن لهم مكونات الأمة والمملكة (مز١٦: ٦-١٣). وخرج لإسرائيل اسم في الأمم كمال مملكته لأنه كان كاملاً ببهاء الرب الذي جعله عليها (ع ١٤)، وصار مرموقاً مطوباً كشعب حكيم له ناموس، وإله هكذا (تث٤: ٦-٨). نشأهم أمة، شعباً ، مملكة رأسها الرب - اختارهم ميراثه، وحكم فيهم: في سياستهم سياسة إلهية، ملكهم الرب، ناموسهم هو القانون السائد: شعب، باختيار الرب صار بكر الشعوب.

-٢-

لكن إسرائيل للأسف لم يحتفظ بهبة امتيازه هذه!

ومنذ البدء أعلن أنه لا يستحق. ابن لم يراع البنوة. اسمع القول من فم الرب ذاته: «الابن يكرم أباه، العبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أباً، فأين كرامتي. وإن كنت سيداً فأين هيبتي - قال رب الجنود» (مل١: ٦).

كسروا العهد: «والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع. غيروا الفريضة. نكثوا العهد الأبدي» (إش٢٤: ٥). وشبههم بآدم «كآدم تعدوا

العهد. هناك غدروا بي» (هو٦: ٧).

منذ البدء كان تذمرهم بسبب الخوف من فرعون الساعي وراءهم (خر١٤: ١٠-١٢). وطلباً للطعام (١٦: ٢-٣) وطلباً للماء (١٧: ١-٣)، (عد٢٠: ٢-٥).

وخوفاً من العدو (عدد١٤: ١-٤)، واحتجاجاً على الخروج من أرض مصر اطلاقاً (خر١٦: ٣، ١٧: ٣، ١٤: ٣٩ و٤٠). كانت كل حياتهم في البرية سلسلة من العصيان والتمرد والتذمر.

حالاً بعد وعد بعبادة الرب تركوه ليعبدوا عجلاً صنعوه من ذهب (خر٣٢: ١-٧). وكانت مدة القضاة سلسلة من البعد عن الرب بعبادة آخر، وصراخاً إلى الرب من مضايقة العدو، وحالاً بعد الخلاص يرجعون عن الرب (قض٢: ١١-١٩). رفضوا الرب أن يملك عليهم وطلبوا لأنفسهم ملكاً «كسائر الشعوب» (١صم٨: ٥ و٧-٩). أرسل لهم الرب الأنبياء «مبكراً ومكلماً، فلم يسمعوا قوله، ودعا، فلم يجيبوا (إر٧: ١٣). وبعد هؤلاء أرسل لهم العبيد [(مر١٢: ٢-٥) الذين جلدوهم وقتلوهم وأرسلوا الأحياء منهم فارغين...]. وأخيراً أرسل ابنه الحبيب الوحيد فرفضوه، وقتلوه!! (ع ٦-٨).

في زمان عهدهم القديم كانوا في العلاء طالما حافظوا على العهد - السلوك في شريعة الرب وعبادته وحده، حين اعترفوا بملك الرب عليهم ممثلاً في ملك أرضي يُقر بملك الرب.. لكن عندما حادوا، وعاندوا، واستهانوا بطول أناة الرب، فضاع العشرة أسباط، الذين في بادىء أمرهم كسروا الوصية الثانية (عبدوا

يهوه في شكل عجلين، خطية يربعام بن نباط التي بها جعل إسرائيل يخطيء (١مل١٤: ١٦). ثم كسروا الوصية الأولى أيضاً بعبادة البعل (٢مل١٧: ٧-١٤). «فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحّاهم من أمامه. ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده» (٢مل١٧: ١٨).

وطالت أناة الرب على يهوذا. وقد كان له شيء من العهد مع الرب، ممثلاً في العبادة في المكان الذي يختاره الرب: أورشليم، وفي نسل داود، الذي معه عهد الرب. وأبقى الرب يهوذا بسبب ذلك العهد (١مل١١: ١٣، ٢مل١٩: ٣٤).

لكن عندما تعدى يهوذا أيضاً عهد الرب، أجرى ضدهم قصاصاً يختلف عن قصاص العشرة - قصاصاً أبقى لهم بقية صغيرة» (إش١: ٩). ذلك أنه حكم عليهم بسبي لا يفنيهم كما أنهى العشرة (قارن ٢مل١٧: ٦ و٢٤) ذلك أن سبي يهوذا أبقى على كيان جماعة يسيرة من المسبيين رجعت، ورجعت مطهرة من الوثنية.

وقد أبقى الرب على مملكة يهوذا لسببين هما: (١) مجيء المسيح منهم حسب الجسد (رو٩: ٥) (٢) حفظ الكتاب المقدس (أي العهد القديم) (رو٣: ٢).

وقد تحقق هذان الغرضان بطريقة غريبة: فالمسيح الذي جاء إلى خاصته لم تقبله خاصته!! (يو١: ١١)، وأما الكتاب الذي بذلوا فيه كل أمانة لحفظه، فلم يأخذوا به، ولم يؤمنوا به من جهة المسيح (يو٥: ٣٩ و٤٠).

كانوا الشعب الذي حظي بالعناية الإلهية الرائعة، والامتيازات العظيمة،

وكانوا أولى من يتعلقون بها. لكنهم غضبوا ولم يريدوا أن يدخلوا (لو١٥: ٢٨). إليهم **أولاً** قدمت كلمة الخلاص. هم أحق الناس بها وهم أقرب الناس إلى الإيمان، لكنهم رفضوها (أع١٣: ٤٦).

أبقى اختيار الرب لهذه الأمة في نعمته، حتى سليمان، بعده شق الأمة شقين، أبقى عليهما كليهما، الواحد لم يراع الأمانة من البدء. ولم يفد من أناة الرب. فرفض وبقي يهوذا يتمتع بامتيازاته، ليس باستحقاقه، ولكن من أجل عهد داود. ولكن لم يراع بنو داود عهدهم، وظلوا في عنادهم ضد الرب، فأدبهم بسبي لا يفنيهم نهائياً. فأعاد منهم بقية صغيرة، ظلت حتى مجيء المسيح.

تمتعت هذه البقية بخدمة «خاصة» من الرب (مت١٥: ٢٤، ١: ٥ و٦). لكنهم رفضوا الآتي إليهم، فأخذ منهم ملكوت الله وأعطى لأمة أخرى تعمل أثماره (مت٢١: ٤٣).. لأناس آتين من المشارق والمغارب يتكئون في ملكوت الله، والشعب الذي فرط في عهده مطروحون خارجاً (لو١٣: ٢٨ و٢٩).

-٣-

ولزيادة الإيضاح أريد أن نحلل السلوك الذي أدى إلى الرفض:

١- عدم قبولهم للمسيح. قالوا عنه «يضل الشعب» (يو٧: ١٢)، وقد جاهر رؤساؤهم بهذا حتى أمام بيلاطس: «قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إنه بعد ثلاثة أيام أقوم» (مت٢٧: ٦٣). ما يعنينا في هذا الحديث، وصفهم للرب بأنه «ذلك المضل». وقد كان حكمهم بالقبض عليه. إنه كان في نظرهم ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت (لو١٣: ١٤، يو٩: ١٦).

لم يقبلوه كمعلم، وقد أرادوا سد طريق التعليم عليه باعتباره لم يأخذ رسمياً السلطان التعليمي ككاتب (مت٢١: ٢٣)، ورغم أنه أجابهم في سؤال عن مصدر معمودية يوحنا، واقتنعوا في أنفسهم بحق سلطانه، إلا أنهم لم يعترفوا به. فسكتوا ومضوا (لو ٢٠: ٧ و٨). لم يقبلوه، فكيف يعللون ذلك للشعب: كيف يعللون معجزاته، فقالوا «ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج شياطين» (مت١٢: ٢٢، ٢٨)، ومن حيث أن هذا رفض للمسيح بعد برهان الروح... فهو تجديف على الروح القدس (مر٣: ٢٨-٣٠).

٢- لكن رفضهم للمسيح لم يكن سلبياً فقط بعدم قبوله، بل كان أيضاً إيجابياً. كان رفضاً صريحاً أوصلهم إلى صلبه (أع٣: ١٣ و١٤)، وقد رفضه كذلك الشعب ممثلاً في الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة (لو٩: ٢٢). وكما قال عنهم الرسول بأنهم «بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه» (أع٢: ٢٣)، وقد نطق الرب بما يعني أن بيلاطس أخطأ ولكن توجد خطية أعظم من خطية بيلاطس هي خطية من أسلمه إليه «رئيس الكهنة (يو١٩: ١١). وقد شددوا الحصار حول بيلاطس لكي ينفذ لهم مأربهم من رفض المسيح وهو صلبه، بأن ألبسوا الأمر ثوباً سياسياً لكي يجبروا بيلاطس أن يحكم عليه: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر (يو١٩: ١٢). ولقد كان لهم ما أرادوا.. وصلب الرب يسوع. صحيح أن اعتبارين يدخلان هنا:

الأول أن الرب قام من الموت، وأن رفضهم له كمسيح لم يؤد مؤداه، وصلبه لم يجدهم نفعاً في التخلص منه إذ قام المسيح وانتصر واستمرت رسالته ونعمته (أع٥: ٢٨، ٣: ١٥).

والثاني أن هذه مشيئة الله من البدء، وأنه لهذا جاء ليخلص الخطاة بالموت عنهم على الصليب، هذه مشورة الله المحتومة وعلمه السابق (أع٢: ٢٣). لكن رغم هذين الاعتبارين يوجد جانب مسئوليتهم عن رفض المسيح، وجريمة صلبه، وهم يشهدون على أنفسهم بهذا قائلين: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت٢٧: ٢٤ و٢٥).

جاء يخلص شعبه من خطاياهم (مت١: ٢١). ولهذا دعي اسمه يسوع: الرب يخلص.. لكن شعبه رفضه. وقد قال الرب ذاته «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (مت٢٣: ٣٧ و٣٨). ومرة أخرى بكاها قائلاً: إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا (يوم أحد السعف) ما هو لسلامك، ولكن الآن قد أخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويُحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك... لأنك لم تعرفي زمان افتقادك» (لو١٩: ٤١-٤٤).

وقد تم كل هذا حرفياً في سنة سبعين ميلادية على يد تيطس القائد الروماني، وتفصيل ما عمل مذكور في نبوة الرب عليها (مت ص٢٤). ويطابقه مطابقة مذهلة الدقة أقوال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاصر ذلك ورآه مرأى العين. (حروب: الباب الخامس والسادس = الخامس عن الحصار والمذابح، ونصرة مؤقتة لليهود أعطتهم غروراً وأملاً في الانتصار، والسادس عن سقوط المدينة وما آل إليه الشعب والمدينة والهيكل). بذا انتهى عهد إسرائيل

باعتبارها ملكوت الله في أمة ومملكة.

٣- لكن المسيح أتى مخلصاً من الخطية. وقد رفضه اليهود مخلصاً لهم.

أعلن لهم بطرس الرسول أن الجهالة التي ظهرت في رفض رؤسائهم للمخلص لن تؤثر إذا قبلوه مخلصاً.. وقد حدث أن ...٣ نفس قبلت المخلص يومها. وقد نما ذلك العدد.

لكن السلطات اليهودية والموقف اليهودي كانا معاديين للبشارة بالإيمان بالمسيح المصلوب والمقام مخلصاً. وقد حاربه اليهود علناً لكنهم:

(أ) لم يستطيعوا أن يقاوموا آية شفاء الأعرج (أع ٣ و٤).

(ب) وقف في طريقهم غمالائيل فلم يقتلوا الرسل (أع ٥).

(جـ) استطاعوا رجم استفانوس وتشتيت التلاميذ. لكن هذا أدى بالأكثر إلى انتشار المسيحية (أع ٦-٨).

(د) قام شاول يضطهد المسيح والمسيحيين فسباه الرب إليه وإلى الإيمان والخلاص بحيث صار مجاهداً في صف الإيمان (أع ٩).

(هـ) قام هيرودس وقتل يعقوب بن زبدي واعتقل بطرس، لكن ملاك الرب فك بطرس، وضرب الرب هيرودس فأكله الدود ومات (أع ١٢).

(و) لكن رغم ذلك كان العداء المُقَنّع والعداء السافر من اليهود ملازماً للتبشير بالإنجيل. وكان البشيرون يذهبون إلى اليهود أولاً، فعندما يرفضون ويعاندون ويضطهدون حاملي الإنجيل يذهب هؤلاء إلى الأمم. وقد فسر بولس

الرسول ذلك بأنه حكمٌ منهم على أنفسهم بعدم استحقاقهم للحياة الأبدية (أع١٣: ٤٦).

أساساً: الخاطيء هالك، فكم بالحري إذا أضيفت إلى خطاياه خطية رفض المسيح. وبذا جلبوا على أنفسهم خطية التجديف على الروح القدس. وكان هذا ملء الكيل «يُصب المقضيُّ على المخرب» (دا٩: ٢٦ و٢٧). وهذه هي رجسة الخراب التي قال عنها دانيال، وأشار إليها الرب يسوع: على جناح الأرجاس = جناح الهيكل الذي لم يعد له وجود فقد بطلت الذبيحة بإتمام ذبيحة المسيح، وبذا لم يعد للهيكل وجود، ووجوده رجس لأنه رمز اضطهاد المسيح، وقد أنبأ الرب بهدمه بعدما صار غير ذي نفع. لكن هذا الحكم الذي أصدره يسوع على الهيكل، تم تاريخياً في سنة ٧٠ ميلادية، كما سبق القول: وبذا من كان يوماً «بكراً» أصبح الآن مرفوضاً.

-٤-

ولكي لا يساء الظن، وتفادياً لسوء الفهم أريد أن يتضح تعليم الرفض هنا. يسأل الرسول بولس «ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا» (رو١١: ١)، لكن عدم الرفض يفسره بتشبيه عن زمان إيليا (بقاء الأنبياء الذين لم يسجدوا للبعل وكانوا في الخفاء. وبذا عبادة الله لم تندثر (ع ٢-٤)، ويخلص من هذا التشبيه بأن بقية بقيت حسب اختيار النعمة (ع ٥).

ودرس البقية مفهوم من التاريخ الماضي: يهوذا بقية إسرائيل، الراجعون من السبي بقية يهوذا... وهنا المؤمنون من اليهود هم بقية اليهود، وكما كان

الأتقياء في عهد إيليا قد بقوا في الخفاء.. هكذا هؤلاء اليهود هم مختارون ليس باعتبارهم يهوداً، بل إعتبارهم مؤمنين بالمسيح، بحسب المبدأ المسيحي «لا فرق»:

(أ) [إذ الجميع] أخطأوا وأعوزهم مجد الله.

(ب) [إذ الجميع] متبررين مجاناً بنعمة الفداء. أي على أساس نعمته بغض النظر عن جنسيته.

إسرائيل في عرف العهد الجديد، وتعليم الإنجيل ليس أولاد الجسد المنتسبين جسدياً إلى إبراهيم (بنو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم)، بل إسرائيل الروحي شعب الله المختار من كل أمة (بما في ذلك اليهود الذين آمنوا، وعلى قدم المساواة بأي أمة). أو اسمع لقول الكتاب: «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد - بل بإسحق يدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً» (رو٩: ٦-٨).

يوماً ما كان إسرائيل هو شعب الله. لكنه رفض عهده مع الله ففقد امتيازه. كان أعلى من مستوى الشعوب، الشعب المختار والكل أمم بلا إله.. بلا رجاء.. عندما فقد إسرائيل مكانته كالشعب المختار نزل إلى مستوى جميع الأمم بحسب استحقاق البشر، هم أيضاً بلا رجاء بلا خلاص.

اختار الله أناساً من كل أمة، وكذلك من اليهود كإحدى الأمم تماماً، وعلى نفس القياس وبنفس المستوى: النعمة - الإيمان. هؤلاء المختارون هم شعب الله

الجديد: هم أولاد الله (رو٩: ٨، يو١: ١٢).

بهذا المعنى تم القول: «قطعت الأغصان لأُطعِّم أنا» (رو١١: ١٩).

«فرفضهم هو مصالحة للعالم» (رو١١: ١٥). لكن هنا يُحذر الرسول من خطرين:

(أ) «لا تستكبر بل خف» (كتحذير لمن يتكل على اختيار رفعه عن من كانوا أصحاب امتياز سابقاً). والتحذير هو: إن لم تثبت في الإيمان يصيرك مثلهم (ع ٢١-٢٤).

(ب) والتحذير الثاني هو بالنسبة لمستقبل اليهود. يقول الرسول: إن الله لم يغلق على هؤلاء الباب نهائياً، بل مثلهم مثل أي أمة أخرى.. المختارون، أو على حد قوله: «قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة» (ع ٥). «ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله، ولكن المختارون نالوه، وأما الباقون فتقسوا» (رو١١: ٧).

هذا هو الاقتبال الذي يتحدث عنه الرسول هنا (ع ١٥). وهذا الرجوع الذي يتحدث عنه الكتاب بالنسبة لليهود.. لا يتحدث مطلقاً عن رجوع شعبي سياسي بالنسبة لإسرائيل، سواء رجعوا أم لم يرجعوا، إنه ليس موضوع الكتاب. ولا يتحدث عن بناء الهيكل قط، سواء حاولوا ذلك أم لا.. لأن الكلام عن التابوت صريح. «.. أنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب، ولا يخطر على بال ولا يذكرونه، ولا يتعهدونه، ولا يُصْنع بعد» (إر٣: ١٦). الهيكل رمز عبادة طقسية. في ظل عهد سابق ولن يعود، وإسرائيل اندثرت منها عشرة

أسباط، وسبط منها حكم على نفسه. لا يوجد لهم أي اعتبار إلا كأمة من الأمم، منهم مختارون للحياة في الأبدية.. يأتون على مر العصور كلما آمن من آمن منهم بالإنجيل.

هذا هو معنى «أن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة أخرى تعمل أثماره» (مت٢١: ٤٣). الأمة كأمة لا وجود لها بمعنى شعب الله المختار.. إن شعب الله المختار. ملكوت الله هو كل المختارين من كل أمة. وبخلاصهم يثمرون ثمر الروح للحياة الأبدية. فيما مضى كان إسرائيل ابن الله البكر - رفض أن يكون كذلك الآن. وحل محله ابن الله - أو «أولاد الله» (يو١: ١٢) = هؤلاء هم الذين قبلوه بالإيمان: «وأما كل الذين قبلوه...» أي المؤمنون باسمه «أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله..» شعب الله المختار. وهؤلاء من كل الأمم. من غير خاصته، ومن خاصته بعدما نزلوا إلى مرتبة الآخرين.

يعلن الكتاب أن الرفض كأمة سياسية.. لكن باب الخلاص مفتوح.. أي الرفض الروحي غير وارد، وكل مؤمن يضم للأبكار (رو١١: ٢٣) لكي يتحقق ملؤهم (ع ١١ و١٢) باقتبالهم (ع ١٥).

على أن شيئاً ملتبساً على البعض هو القول «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل» (رو١١: ٢٦). من هم جميع إسرائيل الذين سيخلصون؟ أهو قيافا وحنان ويهود أنطاكية، وجميع من ماتوا في عنادهم وخطاياهم.. الذين انشقوا على من آمنوا من إخوتهم وسببوا انقساماً؟ (لو١٢: ٥١).

إن إسرائيل هنا هو الشعب الجديد، المختارون من كل أمة، وهم أولاد الموعد.

والدليل على صحة هذا المعنى: لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان، لكي يرحم الجميع» (رو١١: ٣١). فهل يرحم الجميع من الأمم.. بمعنى أن كل الأمم مخلصون؟ أم الذين يقبلون الإيمان منهم، وكذا من اليهود؟ «البقية المختارة» منهم لكي تكون ضمن إسرائيل الروحي. إن «إسرائيل الجديد» ليس يهوداً فقط. وقد يضم المؤمنين منهم وعندئذ يدعون مسيحيين لا يهوداً. فلم تعد الأمة القديمة هي الشعب المختار. إن الشعب المختار هم المؤمنون بالمسيح من كل الشعوب.

الفصل الثامن

"باكورة من خلائقه"

(يع١: ١٨)

قال الرب «رأيت آباءكم كباكورة على تينة في أولها. أما هم فجاءوا إلى بعل فغور ونذروا أنفسهم للخزي! وصاروا رجساً كما أحبّوا» (هو٩: ١٠) وحدث.. رفضوا بكوريتهم وصاروا كما أحبوا.. «أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله» (يو٥: ٤١-٤٤). أحبوا أن يثبتوا بر أنفسهم فلم يخضعوا لبر الله (رو١٠: ٣). أحبوا ما ليس لسلامهم ووقعوا فيه (لو١٩: ٤٣). أحبوا الظلمة أكثر من النور، وبذا رفضوا خلاصهم وأنهوا الأمر (يو٣: ١٩، أع٤: ١١ و١٢).

«فشاء» الله أن تكون له «باكورة أخرى»، شاء فولدنا.. باكورة» (يع١: ١٨). وقبل أن نخوض في بحث شعب العهد الجديد: الباكورة، أريد أن نقرر معنيين:

(أ) أنه لا ينسب البكورية هنا للشعب الجديد بالنسبة لباقي الشعوب، أو المختارين بالنسبة لباقي الناس فحسب، بل إلى كل الخلائق. وسنعرض لهذه النقطة فيما بعد.

(ب) والثاني أن هذه النسبة تختلف عن نسبة الرب: الابن البكر بالنسبة

للخلائق. فيقول عن الرب «بكر كل خليقة» السيد الخالق للكل.. وأما هؤلاء فهم باكورة من الخلائق، فهم من الخلائق لكنهم باكورتها.

-١-

تقر هذه الآية ميلاد بكر آخر غير بكر العهد القديم «شاء فولدنا.. باكورة». وقد نبر الرب يسوع على أهمية الميلاد الثاني، الميلاد الروحي بالنسبة «لرؤية ملكوت الله» (ع ٣). وبالتالي بالنسبة «لدخوله» (ع ٥).

وفي التعبير «شاء» يعيد الذي قاله البشير يوحنا «الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو١: ١٣). وكذلك ما يقوله بولس الرسول «إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف١: ٥). بل يقول «لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت» (لو١٢: ٣٢). وقد سبق الحديث أن ذلك كان في قصد الله. «إذ عيننا لنكون مشابهين صورة ابنه» (رو٨: ٢٨ و٢٩).

ويوضح الكتاب طريقة ميلادنا «بكلمة الحق»، أو كما يقول الرسول بطرس «لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بط١: ٢٣). ويقارن بينها وبين «الجسد» ومجد الإنسان». العشب وزهر العشب اليابس الذابل الزائل - أما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد = الكلمة التي بشرتم بها (ع ٢٤ و٢٥).

ما هي كلمة الله، أو حسب تعبير يعقوب «كلمة الحق» التي ولدنا الله بها؟ وكيف كانت الكلمة واسطة ميلادنا؟ يقول بولس الرسول «ولدتكم في المسيح

يسوع بالإنجيل» (١كو٤: ١٥).

الميلاد: حياة جديدة، تولد وتنمو. وجدة الحياة الموهوبة لنا في المسيح في الاتحاد به في شبه موته، وفي قيامته (رو٦: ٥). الإنسان العتيق صلب ليبطل جسد الخطية. المسيح يحيا فينا - نسلك في جدة الحياة (ع ٤ و٦).

هذا هو الإنجيل الذي ولدهم الرسول بولس به في المسيح. وهذا هو الإنجيل الذي مرة أخرى يقول عنه «وبه تخلصون» (١كو١٥: ٢): أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب (ع ٣ و٤).

أما أنها «كلمة الحق» فهذا يوضحه بولس الرسول: «سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده» (أف ١: ١٣ و١٤)، وهي الكلمة التي ينصح بولس الرسول تيموثاوس بأن يكون «مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة» (٢تي٢: ١٥). وقد سبق أن ذكر محتوياتها الخلاصية: الصليب والقيامة والوحدة في المسيح فيهما.

وتعبير مشابه هو حق الإنجيل: «الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة (التهوديون) الذين يبعدون الأمم عن الخلاص بالإيمان بالمسيح دون الرجوع إلى اليهودية أولاً (انظر أع١٥: ١). ليبقى عندكم حق الإنجيل» (غل٢: ٥). أي الخلاص بالنعمة في المسيح في موته وقيامته. وبذات المعنى استعمل نفس التعبير لينبر على أن الإنجيل الحق «هو التعليم بالنعمة - لا التهودية» (غل٢:

١٤) انظر أيضاً (كو١: ٥).

في كلمة الحق «إنجيل خلاصنا» بشارة عن الابن الذي قدم نفسه من أجلنا وصلب وقام. وإذا آمنا به اتحدنا معه فصلب العتيق ومات.. وولد مكانه الجديد «ابن الله» بسلطان من ابن الله الوحيد.

لم يكن الصليب مقبولاً عند اليهود أو اليونانيين كواسطة الخلاص، وقد رفض اليهود القيامة بتشكيك مغرض فيها (لأنها تدينهم أع ٥: ٢٨)، ورفضها الأمم بسخرية كشيء غير معقول (أع ١٧: ٣٢)، لهذا كانت في نظر البعض هذه الكرازة تدعى «جهالة».. لكنها هي التي خلصت المؤمنين (١كو١: ٢١) هي كلمة الحق المخلص - بها ولدنا.

«هذا الابن» المؤمن بالنسبة للخلائق «باكورة». وقد رأينا أن المؤمن أخ «للابن الوحيد»، أي أحد إخوة كثيرين لأخ بكر هو «يسوع».

ترجع بنا كلمة «باكورة» من خلائقه إلى ما كان يُراعى في يوم الخمسين. فقد كانوا «يأتون بخبز ترديد رغيفين عُشْرين يكونان من دقيق، ويُخبزان خميراً باكورة للرب» (لا ٢٣: ١٧). وهذا هو أساس التسمية «خبز الباكورة» (ع ٢٠)، واليوم الذي فيه يقدم خبز الباكورة: يوم الخمسين (لا٢٣: ١٥ و١٦) يسمى أيضاً «يوم الباكورة» (عد٢٨: ٢٦). هذان الرغيفان «من خمير» عنصر بشري لكنه قدس للرب، هما الكنيسة في يوم الخمسين مسحها الروح وقدسها، وأعلن أنها «الابن البكر الجديد»، باكورة من خلائقه - الكنيسة في جماعتها الأولى. وهذا هو الإعلان الأول. قبلت الكنيسة موعد الآب (لو٢٤: ٤٩، أع١:

٤، ٢: ٣٣).

ويوجد الوعد حيث يمتد هذا القبول إلى الموجودين حينئذ، وأولادهم وكل الذين على بعد.. كل من يدعوه الرب إلهنا (أع٢: ٣٩) - كل من «يدعوه» ليكون مشابهاً صورة ابنه بفعل روح قدسه «في الإنجيل».. أي مشابهاً المسيح المصلوب، والمقام.. هؤلاء «باكورة من خلائقه».

كان يوم الخمسين «بدء عمل» مقرر له أن يستمر: «يكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أع١: ٨). هذا بقوة الروح القدس الذي أفرز الكنيسة في يوم الخمسين.. ومنذ ذلك الحين كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون (أع٢: ٤٧).

فكان هؤلاء طريق الله إلى غيرهم بمبدأ: «ومن سمع فليقل: تعال» (رؤ٢٢: ١٧). نال وسام التسمية «باكورة» بصفة خاصة غير من كانوا يوم الخمسين: «أبينتوس» باكورة أخائية (رو١٦: ٥) «بيت استفانوس» يذكر أنهم باكورة أخائية (١كو١٦: ١٥). وربما كان أبينتوس أحد أفراد ذلك البيت. وهذا يعني أول المؤمنين في ذلك الإقليم وهم ضمن «باكورة من خلائقه»، على أن لهم بعض المميزات سيأتي عنها حديث بعد.

-٢-

في هذه الباكورة من خلائقه، شعب العهد الجديد، ثم ما لم يتم في الشعب السابق. إذ أنه كان المفروض في شعب الرب البكر، أن يكون كأي بكر «قدساً للرب» (راجع ما قيل في الفصل الأول). وهذا ما يقال عن كل ما يقدم في يوم

الباكورة (لا٢٣: ٢٠)، وهذا ما يقال عن كل ما يقدم في يوم الباكورة (لا٢٣: ٢٠)، وهذا هو قول الرب «قَدِّس لي كل بكر، فاتح رحم من بني إسرائيل، من الناس، ومن البهائم. إنه لي» (مز١٣: ٢). وهذا لم يتم في العهد القديم - لكنه تم في العهد الجديد. في الماضي بدلاً من أن ينذر الباكورة أنفسهم للرب، نذرها لبعل فغور - ولأي بعل بعد ذلك.

شعب العهد الجديد كله نذير للرب - باكورة مقدسة (رو١١: ١٦). انكسر وانفصم العهد مع الشعب القديم، لقد تعدّوا العهد = لم يثبتوا فيه. «وأنا أهملتهم يقول الرب». أي لم يعمل من جانبه ما يرغم على الثبات فيه، أو يدعم عهداً دخل فيه الإنسان طرفاً، فشكل موطن الضعف فيه، وانكسر العهد..

فعمل الرب عهداً جديداً مكتوباً في الذهن والقلب فيه الصفح. فيه التجديد. فيه حياة ينبعث منها المستوى المطلوب، فيه روح الله، يقدس الحياة. عهد فيه مقوماتِ دوامه.. عهد أخذه الله وحده على نفسه، ولم ندخل نحن فيه طرفاً.. قدم وحده خلاصنا، وليس من أعمال برنا.. اجتاز الله وحده وسط القطيع (تك١٥: ١٧). وهب لنا خلاصنا بالنعمة.. اشتراه بالدم على الصليب، وكل ما علينا أن نقبله بالإيمان. فنولد ميلاداً جديداً - في سيرة مقدسة وتقوى.

كان الشعب القديم باكورة جسدية للرب.. أولاد الجسد.. شعب الرب. صحيح أنه دعاهم شعب ميراث الرب، مملكة كهنة. ولكن لم يدوموا مملكة الرب، ولا كهنتهم داموا أمناء للرب، وانتهى شعبهم كشعب للرب. فاختار الرب أن يقيم لنفسه شعبًا حسب الموعد «أولاد الموعد.. وهو لهم ولأولادهم. ولكل الذين على بعد.. كل من يدعوه الرب إلهنا.

ناموس البكر القديم كان وصايا الجسد، وعقابه عقاب الجسد، وقداسته، قداسة الجسد، أناس مولودون حسب الجسد، يهتمون بإنسان الجسد (في٣: ٣-٦). مبدأ الحياة فيهم اقتدار الجسد. حروبهم حروب الجسد، ملكوتهم أمة جسدية، وميراثهم ميراث أرضي، بوعد أن تطول أيام الجسد على الأرض التي يعطيهم الرب إلههم. وقد تغير الحال لأن هذا الجسد لم يكن قدساً للرب، ولم يمجده. فجعل الرب ملكوته روحياً بولادة روحية، ليس من مشيئة جسد بل من الله، وميراثهم ليس أرضياً، بل ميراثاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السماويات. وهم كشعب هنا على الأرض غرباء ينتظرون اللحظة التي يتغربون فيها عن الجسد ويستوطنون عند الرب. وبعدما ابتدأنا بالروح، لا نكمل بالجسد. فإن ملكوت الله الروحي، لن يتحول ثانية ليرجع ملكوته جسدياً.. وإلا فلماذا لم يبق الجسدي لو فرض أن كانت له مقومات البقاء. يكفي ما يقوله الرسول «ابعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد» (غل٣: ٢).

-٣-

«باكورة من خلائقه» هم مكرسون «قدساً للرب».

قلت إن المبدأ: أن البكر مقدس للرب، وهذا يعني أنه «محرم» على غير الرب. أوصى الرب بما يضمن للكاهن إمكانة التمييز «بين المقدس والمحلل، وبين النجس والطاهر» (لا١٠: ١٠). وواضح أن كل كلمتين متتاليتين هنا متناقضتين. من ذلك نفهم أن المقدس عكس المحلل. وذات المعنى مستفاد من لوم للرب للكهنة «كهنتها خالفوا شريعتي، ونجسوا أقداسي. لم يميزوا بين

المقدس والمحلل. ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر،وحجبوا عيونهم عن سبوتي فتدنست في وسطهم (خر٢٢: ٢٦). انظر أيضاً (خر٤٤: ٢٣).

ويعلم العهد الجديد بأننا كمفديين، لله فقط. ويجب أن نحيا لله فقط: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس.. الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو٦: ١٩ و٢٠). ويذكر الغرض من موت المسيح (الذي به وبقيامته ولدنا ثانية). «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٥).

هذه هي الحياة التي تسمى «قدساً للرب» لا أنانية فيها ولاخطية - حياة الخدمة المنذورة للرب. «لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله» (كو١: ١٠). حياة الفضيلة والمدح (في٤: ٨)، لأن الرذيلة لا تليق بالبكر المقدس للرب (تك٤٩: ٣ و٤).

سبقت الإشارة إلى أبينتوس وبيت استفانوس باكورة أخائية. بماذا يصف الكتاب حياتهم وفضائلهم هناك؟ يصفهم بإظهار المحبة المرموقة الرائعة. «وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين» أما خدمة القديسين فاقتداء بخدمة الرب ذاته، ودليل المحبة والتكريس.. لكن في كلمة «وقد رتبوا أنفسهم» شيء أكثر من مجرد خدمة عابرة. لقد كانت شغلهم الشاغل واهتمامهم ومسعاهم.. لا يعملون شيئاً آخر سوى أنهم أوقفوا أنفسهم على خدمة القديسين.

ومن هم المقصود بهم «القديسين». الكلمة في معناها البسيط تعني

المسيحيين: تلاميذ المسيح (أع٩: ٣٢ و٤١) [فإن كلمة مسيحيين التي حلت محلها لم تستعمل إلا بعد ذلك في أنطاكية (أع١١: ٢٦)]. على أنه يبدو أن فئة معينة من القديسين قُصِدوا بهذا: خدام الرب. وكان هذا من قبيل العون والإكرام لهم وتهيئة لطريق خدمتهم.

وجماعة أخرى تجدر الإشارة إليهم دُعوا باكورة هم المئة والأربعة والأربعون ألفاً في سفر الرؤيا (١٤: ٤). «الذين أشتُرُوا من الأرض» (ع ٣). أو في كلمة أخرى الحاصلون على نعمة الخلاص. «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتُرُوا من بين الناس باكورة لله وللخروف...». وفي اتباعهم للخروف الاقتداء به والسير في طريق خدمته - حيثما ذهب بغض النظر عن التضحية وبغض النظر عن النتائج - «حيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمي» (يو١٢: ٢٦). لا يحتسب لشيء، ولا نفسه ثمينة عنده، حتى يتمم بفرح سعيه، والخدمة التي أخذها من الرب يسوع (أع. ٢: ٢٤). يقال لا تذهب إلى هناك = خطر عليك فيقول «لأني مستعد ليس أن أربط فقط، بل أن أموت أيضاً- لأجل اسم الرب يسوع» (أع٢١: ١٣). يصف هؤلاء الـ. . .١٤٤ بأنهم أطهار وبالذات يقول عنهم إنهم «هم الذين لم يتنجسوا مع النساء». قال البعض. رهباناً. وقال آخرون أطفالاً.. ولم يقصد امتناع المضجع لأن هذا ليس نجاسة. النجاسة هي خطية الزنى. أما الزواج فمكرم. والمضجع في ظل الزواج مقدس.. لكن يقول الكتاب «وأما العاهرون والزناة فيدينهم الله» (عب١٣: ٤)، ولماذا هذه الخطية بالذات.. لقد كانت لها دلالة معينة. فهي فضلاً عن أنها انطلاق الإنسان وراء دوافعه المنحطة إلى درك النجاسة. فإن هذه الخطية كانت

مظهراً من مظاهر الوثنية في العهد القديم (عد٢٥: ١ و٢)، والجديد (رؤ٢: ٢٠). ولقد انجرف اثنان من بني عالي الكاهن لكي يعبدا الرب بهذه القباحة. وفي خيمة الاجتماع (١صم٢: ٢٢). كانت هذه هي طريقة عبادة البعل وعشتاروث، وأرطاميس وغيرهم من آلهة الوثنيين. أي أن هؤلاء القديسين لم يضلوا عن طريق الرب وعبادته، ولم يُدنسوا أنفسهم بكل ما ليس من الإيمان كالزنى وخلافه.

إن المكرسين قدساً للرب، هم الذين أثمرت فيهم نعمة الخلاص إلى حياة مقدسة.. فاضلة - هم «باكورة من خلائقه».

-٤-

«ولدنا لنكون باكورة من خلائقه» - هذا يعني أننا رجاء التجديد الشامل.

قد خلصنا «باكورة من خلائقه» أي يوجد خلاص أيضًا - خلصنا فصرنا أبناء الله.. يوجد رجاء استعلان أبناء الله وفي استعلان أبناء الله يوجد عتق الخليقة التي أخضعت للبطل (اقرأ رو٨: ١٩-٢٥).

دعني أوضح:

إن ما حصلنا عليه بكوننا «باكورة من خلائقه».

أو ما يسمى «باكورة الروح» (رو٨: ٢٣) أو «عربون الروح» (٢كو٥: ٥، ١: ٢٢). أو عربون ميراثنا (أف١: ١٤) هو مجرد المقدمة، وهو ضمان إتيان البقية.

لقد أخضعت الخليقة للبطل، وذلك من أجل خطايانا.. ففداؤنا يعني إرجاع الخليقة عن البطل. ومتى يتم ذلك؟ عند استعلان أبناء الله. إنه ببنويتهم يوجد الحكم برجاء للخليقة. وسيتم ذلك الرجاء بإعلان بنويتهم بالمجد العتيد وهذا هو «استعلان أبناء الله» (رو٨: ١٩).

حينئذ كل المساويء، وكل آثار اللعنة التي حَلّت على الخليقة من أجل آدم (لكي تسبب له «التعب» و«العرق» وضياع النجاح). كل ذلك ينتهي عند استعلان أبناء الله. جُعل الإنسان سيد الخليقة.. يوم خلق. لكنه أخطأ فنزعت منه السيادة وحلت بدلها اللعنة، وقاد الخليقة إلى لعنة شاملة كل شيء: الأحياء والجماد. ستحرق الأرض بشوكها وحسكها، وتزول السماء بضجيج.. وستخلق سماء جديدة وأرض جديدة.. متى؟ عند استعلان أبناء الله.

ذلك أن يوماً آتياً فيه يجيء «ابن الله» وينادي الذين في القبور، فيقومون إلى عدم فساد، والأحياء يتغيرون.

في هذا المقام لا بد أن نشير إلى لفظ استخدمه بولس الرسول هو: «نحن الذين لنا باكورة الروح» (رو٨: ٢٣)، ويقول عنا «متوقعين التبني فداء أجسادنا» وباكورة الروح هو الخلاص الذي نلناه - عمل الروح فينا لتبريرنا وتجديدنا وتقديسنا - هذا يعتبره المرحلة الأولى في خلاصنا، الباكورة، ويسميها باسم آخر: «عربون الروح» (٢كو٥: ٥) أي ضمان اتمام المرحلة الثانية وهي «التبني فداء أجسادنا» وهو التغيير إلى جسد مجده يأخذه الراقدون بالقيامة، ويأخذه الأحياء الباقون إلى مجيء الرب بالتغيير بدون رقاد (١كو١٥: ٥١ و٥٢، ١تس٤: ١٦ و١٧). الأول خلاص أرواحنا، والثاني خلاص أجسادنا، قد

حصلنا على تجديد الروح بنوال النعمة المخلصة. ويعتبر الرسول هذا ضماناً لإتمام الرجاء والتوقع لفداء أجسادنا. ذلك لأن الرب أعد خلاصاً للإنسان كله. أو كما يقول الكتاب «المسيح فيكم رجاء المجد»؛ حين يستعلن أبناء الله.

وتجديد المؤمن الآن كما أنه عربون تغيير الجسد فيما بعد، كذلك هو عربون عتق الخليقة ترجو استعلان أبناء الله، لأنه حينئذ أيضاً ستعتق من البطل الذي أخضعت له، من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فستشترك معنا الخلائق في الأمجاد كما وقعت عليها لعنتنا. (راجع كل الفصل في رو٨: ١٨-٢٥).

الفصل التاسع

كنيسة أبكار

(عب١٢: ٢٣)

تعرض العبرانيون إلى تعيير اليهود غير المؤمنين بالمسيح. وقد افتخروا عليهم بأنهم عندهم موسى والناموس والعهد والهيكل والذبائح والكهنة والسبت، وعيروا المسيحيين العبرانيين بأنهم قد فقدوا كل ذلك.

وقد كتب الرسول يعزي المسيحيين العبرانيين بأن لهم امتيازات أفضل من كل ما لليهود. وفي (عب١٢: ١٨-٢٤) يوجز ما قاله في كل الرسالة: مقارناً بين ما أتى إليه اليهود من القديم (ذلك الذي يفتخر به) وبين ما أتى إليه المسيحي من امتيازات ومقام.

فقال إنه بدلاً من الجبل الملموس المخيف جبل سيناء بناموسه المرعب القاتل، أتى المسيحيون إلى «جبل صهيون» وهذا اسم للمكان المختار مقدس الرب (وهنا ليس مكاناً ملموساً بل سجود بالروح) (يو٤: ٢١-٢٤) وفق عهد جديد. وبدلاً من أورشليم الأرضية المقضي عليها (لو١٩: ٤١-٤٤، عب١٣: ١٤)، والمستعبدة مع بنيها (غل٤: ٢٥).. لهم أورشليم السماوية.. أورشليم العليا (غل٤: ٢٦) مدينة الله الحي. وبدلاً من الكاهن والذبائح في النظام اللاوي أتوا إلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش صارخ يطلب الغفران، له فاعلية

أكثر من دم هابيل، وأفضل منه.. بحيث أنه لا يطلب النعمة (عب١٢: ٢٤).

وبدلاً من محافل اليهود التي أبغضتها نفس الرب. إذ أنها خليط من اثم واعتكاف (إش١: ١٣) والتي عطلها الذين لم يتقدسوا فعيدوا في الشهر الثاني بدلاً من الأول (عد٩: ٦-١١، أي.٣: ١ و٢ و١٣-١٥) بدلاً من ذلك «جاءوا إلى محافل الكمال مع ربوات ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات.. وأرواح أبرار مكملين». بدلاً من محافل البشر يفرضها الله ويقطع من لا يعتكف من شعبه (لا٢٣: ٢٩)، محافل مع الله «ديان الجميع» الذي يكافيء المؤمنين بالدخول إلى فرح سيدهم (مت٢٥: ٢١).

موضوعنا هنا يتعلق بفضل المحافل المشار إليها. وبالذات جماعة المحتفلين. ولأجل الموضوع يأتي السؤال: هل تلك التعبيرات فيها الترادف أم الجمع؟ فهنا يذكر ثلاث فئات من المحتفلين[١] (١) ربوات ملائكة (٢) كنيسة أبكار مكتوبين في السموات (٣) أرواح أبرار مكملين. وينصب السؤال على الفئة الثانية، هل نعتبرها هي ذات الفئة الأولى أو الثالثة. أو فئة مستقلة بذاتها؟

اعتقد البعض أن كنيسة الأبكار هي جماعة الملائكة من حيث أن الملائكة سموا أبناء الله (أي١: ٦، ٢: ١، ٣٨: ٧). ولكن هؤلاء المكتوبين هم بشر مفديون حسب قول الرب (لو.١: .٢) ويوحنا الرائي (رؤ٣: ٥، ١٣: ٨، ١٧: ٨، .٢: ١٢ و١٥، ٢١: ٢٧). أما الملائكة فهم إما حافظوا على قداستهم،

---

(١) كما أن في حاشية الكتاب المقدس (بشواهد) يمكن أن تقرأ «محفل ربوات ملائكة، وكنيسة أبكار... الخ».

وبذا بقوا ملائكة في كمالهم، أو سقطوا فحُفِظوا إلى قتام الظلام (٢بط٢: ٤). ولا ينطبق على الملائكة. القول «مكتوبين في السموات».

اعتقد البعض أن «أرواح أبكار مكملين» هم مؤمنو العهد القديم سحابة من الشهود (ص ١١، ١٢: ١). والأرجح أن كنيسة الأبكار هي الكنيسة في أوسع معانيها حاوية كل المفدين (عب١١: ٣٣) في كل العصور موجودين على كل الأرض، أو في السماء (أف١: ٢٢، ٣: ١٠، ٥: ٢٢-٢٧، كو١: ٢٤، عب١٢: ٢٣).

بهذا المعنى عن «كنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وأرواح أبرار مكملين». أريد أن نتأمل في هذا الموضوع.

على أن معنى كنيسة أبكار مكتوبين في السموات أشمل من أرواح أبرار مكملين، فإن المعنى الثاني يقصد المؤمنين بعد ارتحالهم عن هذا العالم وقد خلعوا الجسد وقبل أن يلبسوا أجسادهم الممجدة أما «كنيسة أبكار» فهي تشمل هؤلاء الأرواح مع الذين لا زالوا الآن في الجسد، أي أنها تشمل كل هؤلاء، بعد أن يلبسوا الجسد المجيد.

-١-

التعبير «كنيسة أبكار» له دلالة خاصة تختلف عن دلالة كل من الكلمتين على حدة. ولقد ورد هكذا في هذا المكان فقط في الكتاب المقدس.

«كنيسة» - في العرف الكتابي- تعني جسد المسيح أي المؤمنين: المخلصين، «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف١: ٢٢ و٢٣) عروس المسيح (٥:

٢٢-٢٧).. هذا هو المعنى المثالي العام للكنيسة.. (وقد استعملت اللفظة عن الكنائس المحلية. وفي هذا نسب إليها الضعف والعجز.. ووجه إليها اللوم والنصح.. الخ). إلا أن ما يعنينا هو المعنى الأول «أبكار» جمع بكر.. وهي في اللغة الأصلية في صيغة الجمع، وبالمعنى الروحي. لم ترد هكذا إلا في هذا المكان. وقد رأينا في الفصل الأول (المعنى الكتابي للبكر). وبالأخص المعنى المجازي، وعرفنا أن هذه الكلمة تعني أبناء الله حال تفضيله وتمييزه لهم.

إلا أن مجموع الكلمتين معاً «كنيسة أبكار» يقدم لوناً آخر من المعنى ذلك أنهما في هذه الحالة تشيران إلى شعب الله في عصر النعمة، في مجد حياته وأبديته. ويلاحظ أن الرسول هنا حين يقارن بين امتيازات اليهود وامتيازات المسيحيين. لا يفوته أن يقارن أيضاً بين بكر العهد القديم إسرائيل الأمة، الشعب ملكوت الله المنظور إن شئت فقل «الثيوقراطي» وبين بكر العهد الجديد «جماعة الأبكار» «كنيسة الأبكار»، المختارون من كل أمة تحت السماء.

وإذا كان لا ينظر إلى الفرد في العهد القديم كبكر، فليس فيهم من دعي «ابن الله». بل مجموعهم، ولهم في اختيار الرب «لهم كشعب» نسبة «الابن» نسبة البكر.. أما في العهد الجديد فيمكن أن يقال: كنيسة أبكار كل منهم يدعى بكر، لأن كلاً منهم أعطى سلطاناً أن يصير ابناً لله، بناء على اختيار خاص، وإيمان شخصي وعلاقة فردية.. وفي مجموعهم «كنيسة أبكار».

-٢-

ثم دعنا نلقي نظرة على ذلك السجل السماوي لنفهم مغزاه: «مكتوبين في

السموات».

أ- ولكي نفهم معنى ذلك السجل لننظر في خلفيته القديمة. فقد ورد في العهد القديم «سفر الأحياء».. «كتابك الذي كتبت». كل من كتب للحياة.. الخ. [انظر خر٣٢: ٣٢ و٣٣، مز٦٩: ٢٨، إش٤: ٣، خر١٣: ٩، دا ١٢: ١، مل٣: ١٦). وبمراجعة هذه الآيات نلاحظ:

(١) أنها تعني الكتابة في سفر تعداد بني إسرائيل (خر١٣: ٩، دا١٢: ١) أي كتابة أسماء من يعيشون على أرضها وفي مدنها (إش٤: ٣).

(٢) أنها تعني الحياة: التعمير في الجسد، طول الأيام (خر٣٢: ٣٢ و٣٣، مز٦٩: ٢٨) باعتبار أن التقي يطول أياماً، ببركة إلهية [قارن البركة لحافظ الوصية الخاصة (خر. ٢: ١٢)] انظر أيضاً (تث٥: ٣٣ وبالعكس مز٥٥: ٢٣) ومن يمحى اسمه يموت...

(٣) في يوم باكر من حياة الشعب القديم كان الاسم والعدد وسجلها عملاً نيابياً: (لاوي بدل أبكار إسرائيل) (عد٤: ٤٠ و٤٢) أي أن لاوي: أبكار مكتوبين في إحصاء الشعب.. هذا بالمقارنة «بكنيسة أبكار مكتوبين في السموات».

وباختصار كان السجل القديم سجلاً أرضياً عن حياة شعب. مشيئة الله كانت أن اختارهم كأمة وميزهم...

ب- بخلاف ذلك الـ «مكتوبين في السموات».

(١) يعلم الكتاب «بسفر الحياة» أو «سفر حياة الخروف» مكتوب فيه من عينوا للحياة الأبدية.

أجل على الأرض لدينا سجلات فيها عضوية الذين أقروا بإيمانهم.. فقبلهم المجلس أعضاءً بالكنيسة المنظورة. لكن هذا لا يقدم أو يؤخر بالنسبة للمصير الأبدي. وكم قبلنا الزوان فنما مع الحنطة. وكم دخل الداخل خلسة. وكم وجد الخبيث. وكم وجد أصل المرارة. وكم عانت الكنيسة من أذى أشباه ديوتريفس الذي يريد أن يكون الأول بينهم (مت١٣: ٢٤-٣٠، غل٢: ٤، ١كو٥: ١٣، عب١٢: ١٥، ٣يو٩).

بلا شك يجب أن يراعي أقصى الحرص وأقصى الاجتهاد لكي يكون السجل الأرضي مطابقاً للسماوي، ولكن ما يجب التنبير عليه هنا هو أنه رغم أهمية انتمائك إلى كنيستك المحلية حتى تتمتع بامتيازاتها، وتشارك في مسئولياتها. فإنك يجب أن ترتبط بعهد يجب أن تكون أميناً حياله... ولكن دخولك السماء مرجعه أن اسمك مكتوب هناك.

(٢) المكتوبون في السموات. أو في الحياة هم المخلصون الذين كان الرب ولا زال يضمهم إلى الكنيسة (أع٢: ٤٧)، عند الدينونة ستفتح الأسفار. ويفتح «سفر الحياة». والمكتوبون فيه يدخلون إلى الأمجاد، وغير المكتوبين يطرحون في بحيرة النار (رؤ٢٠: ١٢ و١٥) لأن مدينة الله الحي أورشليم السماوية «لن يدخلها إلا المكتوبون في سفر حياة الخروف» (رؤ٢١: ٢٧) = المخلصون.

هؤلاء المخلصون المكتوبون في سفر الحياة هم أيضاً غالبون (رؤ٣: ٥)،

مجاهدون في الإنجيل (في٤: ٣)، ثابتون ضد التجارب، والشر، والضلال (رؤ١٣: ٨).

(٣) قال الرب يسوع: «بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات» (لو ١٠: ٢٠) هذا أعظم فوز وأعظم امتياز. فلا سلطان أو أي انجاز (خضوع الشياطين باسم الرب)، أو اسم أو صيت ذائع (رؤ٣: ٢) يوازي هذا الامتياز.

-٣-

هؤلاء الأبكار الذين يكوّنون الكنيسة. هؤلاء المخلصون المجاهدون.. الممجدون - أين يكون انتماؤهم؟ من ذات الآية نقرأ «في السموات» هذا هو وطنهم: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي فيها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح» (في٣: ٢٠).

وعلى هذا فهم في الأرض غرباء يسكنون خيمة.. يتطلعون إلى سكنى البناء السماوي، يلبسون جسداً هو سبب تلك الغربة - خلعه البعض فصاروا أرواحاً مكملة. ونحن المستوطنون في الجسد نثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب» (٢كو٥: ١-٨).

ثم إنهم غرباء لا يشاكلون هذا الدهر - سلوكهم يختلف عمن هم سواهم. ذلك أنه سلوك أناس من عالم آخر - السماء.. يقال عنهم إنهم كانوا مع يسوع (أع٤: ١٣). كذلك هم غرباء.. شعارهم أن يسلكوا كما يحق لإنجيل المسيح، أو على الأقل مطلوب منهم ذلك (في١: ٢٧). «لكي يزينوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء» (تي٢: ١٠). غرباء لكنهم يعيشون في وسط العالم

يعايشون أي مجتمع لأنه لا فرق بالنسبة لهم لون الحكومات، أو طرق الحياة، أو مستوى المعيشة. لا يفرق طالما هم يعتبرون أنفسهم غرباء. على أنهم يعايشون المجتمع الذي يعيشون فيه بكمال «فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل، أو الولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر، وللمدح لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتُسكِّتوا جهالة الناس الأغبياء كأحرارٍ وليس كالذين عندهم الحرية سُترة للشر، بل كعبيد الله. أكرموا الجميع أحبوا الإخوة خافوا الله أكرموا الملك» (١بط٢: ١٣-١٧).

«فأطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس.. لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة. في كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١تي٢: ١-٤).

أي أنهم يخلصون لوطن غربتهم الأرضي، حتى يذهبوا إلى وطنهم السماوي. ويسلكون سلوك السماويين على الأرض في كمال أولاد الله.

كذلك يعايشون المجتمع، لكنهم لا يفقدون رسالتهم، ولا يفقدون خواصهم السماوية.. «لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتو. تضيئون بينهم كأنوار في العالم متمسكين بكلمة الحياة». (في٢: ١٥ و١٦). يقدمون رسالة الحياة المقدسة، وكذلك يقدمون جواباً لكل من يسأل عن سبب الرجاء الذي فيهم بوداعة، وخوف، تشهد بصحة تعليمهم، حياتهم وضميرهم (١بط٣: ١٤-١٦). ولقد شبههم الرب بملح الأرض.. اشترط فيه أن يستمر محتفظاً بخواص الملح، ومطلوب منه أن يقدم إصلاحاً للعالم، وشبههم

بنور العالم واشترط فيهم أن يحتفظوا بالنور مُعْلناً مكشوفاً شاهداً، بالقيادة والقدوة فيمجدوا «أباكم» الذي في السموات». (مت٥: ١٣-١٦).

كنيسة أبكار. منهم من ذهب إلى حيث سجل اسمه في السموات «أرواح أبرار مكملين». ومنهم من لا يزال في الغربة.. يشتهي أن ينطلق ويكون مع المسيح ذاك أفضل جداً. لكنه لا يستعفي من الحياة طالما هذه مشيئة الله، وطالما له رسالة (في١: ٢١-٢٦).

-٤-

أبكار.. واضح أن من خواصهم الكمال «أرواح أبرار مكملين». لكن من هؤلاء؟ قلت هم الذين خلصوا الجسد.. هم بالروح فقط في السماء مع المسيح «يستريحون من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم» (رو١٤: ١٣). وقلت أيضاً إن كنيسة الأبكار أشمل من هؤلاء. فيوجد الغرباء الآن هنا على الأرض في الخيمة. وسيكون هؤلاء الغرباء وأولئك المستوطنون لابسين الجسد الممجد، عندما يأتي الرب بمجده على السحاب بقوة ومجد كثير.

طبعاً كنيسة الأبكار بعد القيامة مكملون فعلاً، لكن ماذا عن الذين هم الآن في الغربة.. إلى أي حد تنطبق عليهم فكرة الكمال؟

بالنسبة لنا الكمال في الغربة هنا مطلب مطروح: هدف يجب أن نسعى إليه وطالما نحن هنا فإننا ننمو ونتقدم.. نسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع (في٣: ١٠-١٤). ويعارض الرسول فكرة بلوغ الكمال هنا (ع ١٣ و١٥).. ويوحي بهذه المبادىء:

١- الإقرار بأننا لم نكمل بعد.

٢- السعي نحو الكمال.

٣- ترك كل معطل يمنعنا عن ذلك.

٤- السلوك بحسب هذا القانون باعتباره قانون حياتنا. أي أنه رغم أننا لم نصل للكمال.. لكننا نتمسك به ونسعى إليه، ونعتبره المطلب والمثال والهدف. بهذا المعنى يختلف معنى كلمة قدوس عن كلمة قديس. فالقديس هو الساعي نحو قداسة القدوس لكي يكون نظيره (١بط١: ١٥ و١٦).

ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح (أف٤: ١٥).

لقد أوصانا الرب قائلاً: «كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل». (مت٥: ٤٨)،وطالما نحن على درب الكمال يعتبرنا قديسين.. أننا مخلصون ساعون إلى كمال القداسة.

إن الفرق كل الفرق بين حياة السماوي في غربته وبين العالمي.. هو أن السماوي في درب القداسة، يمثل النور، البساطة، الكمال في وسط جيل معوج وملتوٍ مظلم.

من ترك الغربة «كمل»، ذلك أنه خلع الجسد، وخلع معه التجربة. هناك الكمال. والمؤمن في الغربة في جهاد نحو الكمال حتى يبلغه.هناك.. مثل من بلغوه.

أن قصد الله من اختيارنا أن نكون «مشابهين صورة ابنه» (رو٨: ٢٩).

وقصد المسيح من فدائنا أن يحضر «كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف٥: ٢٨).

إننا «نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو٨: ٢٣). «وسنلبس أيضاً صورة السماوي» (١كو١٥: ٤٩).

سيأتي الرب من السماء وسيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده (في٣: ٢١). ويعبر الكتاب بأننا -نحن أولاد الله- لم يظهر بعد ماذا سنكون.. ولكن نعلم أنه إذا أظهر سنكون مثله لأننا سنراه هو...» (١يو٣: ٢). وبعد ذلك سيكمل المجد فلا تكون فقط أرواح أبرار مكملين.. بل كل الكيان مكمل.

-٥-

كذلك تفيد هذه الكلمات قدر الكنيسة = الأبكار، وواضح أنه ينبر على أهمية البكر. **ومن هنا يأتي قدرهم..** أبكار مفضلون: الرفعة والعز. فهم ينفِقون وينفَقون (٢كو١٢: ١٥). ولكن الرب حريص عليهم، يحملون الصليب، ويعانون كل النهار، ولكن الرب يحصي جميع شعور رؤوسهم (مت١٠: ٣٠) واحدة منها لا تسقط بدون مشيئته (لو٢١: ١٨). وإذا حدث أن قدم أحد نفسه، ونال امتياز الشهادة، استقبله الرب بنفسه وهو على عرشه، من عن يمين الآب لكي يكرمه (أع٧: ٥٥ و٥٦).

هؤلاء المضطهدون المحتقرون الذين يُعيَّرون (مت٥: ١٠-١٢). هم في الحقيقة مطوبون.. أبكار.

يكفي أن الرب يقول لهم: «أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك (رؤ٢: ٢)، وضيقتك وفقرك، مع أنك غني (ع ٩). وأنت متمسك باسمي ولم تنكر إيماني (ع ١٣). حفظت كلمة صبري (٣: ١٠).

يكفي تقديراً لهم أن يعد الرب أنه لن يمحو اسمهم من سفر الحياة، وأنه سيعترف بهم أمام أبيه، وأمام ملائكة أبيه (رؤ٣: ٥).

هناك المحافل في قمتها، يشرِّفها حضور الله ذاته [ديان الجميع] لكنه بالنسبة لهم المخلص. فإن في دينونته خلاصهم.. وإذا كان محل رعب وفزع للأشرار، لكنه آب لهؤلاء الأبكار، وهم موضوع إعزازه.

الديان هو ذاته الذي يشفع فيهم. وقد مات من أجلهم وقام (رو٨: ٣٤).

في محافل دائمة -مليئة بالفرح- مليئة بمجد الله.. يذكر هنا الملائكة. وكثيراً ما كان الملائكة رفاق مجد الله (مر٨: ٢٨، رؤ٥: ١١).

هناك يكونون في شركة فرح دائم لا ينقصه شيء، لأنه لا توجد خطية. والخطية هي سبب الحزن والألم والتعب والموت.. فرح دائم في معية الرب وإلى الأبد.

-٦-

فكرة البكر دائما تأتي إلى أذهاننا بالميراث، وبالذات مفهوم أن البكر له نصيب اثنين من إخوته. وهؤلاء أبكار، لهم نصيب اثنين بالنسبة لمن؟

الكنيسة هنا بالمعنى العام بجميع أفرادها.. المختارون من الرب للخلاص

بالنعمة. أبكار، ومن ليس بكراً؟ من هو الذي يأخذ المكان الثاني؟

سأل إيليا إليشع ماذا يعطيه؟ فطلب نصيب اثنين من روحه (وليس المقصود ضعف قوة إيليا أو عدد معجزاته.. بل) طلب أن يجعله بكره: خليفته المميز.. وكان.ولكن من يأخذ المكان الثاني من روح إيليا؟ وجدير بالذكر هنا أن الموضوع ليس مقدار الميراث بل نوعه. ليس الكم بل الكمال. كلهم بكر. كلهم كامل.. كلهم ممتاز.

على أن الكتاب يقول «إن نجماً يمتاز عن نجم في المجد» (١كو١٥: ١٤). لكن الكل كامل، والكل مجيد «أرواح مكملين» بغض النظر عن قدر المكافأة التي يعطيها الرب، نسبة لجهاد المجاهد.. لكن كلا أخذ من المجد، أقصى قدر يستطيع هو أن يأخذه. وإذا كان كل أخذ الأقصى.. فالكل كامل، ولو أن الواحد يمتاز.. ليس هذا امتياز البكر، فالكل.. بكر، والجميع مكملون.

قال الرب يسوع: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧: ٢٢). وقال أيضاً: «من يغلب فسيجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضاً، وجلست مع أبي في عرشه» (رؤ٣: ٢١).

هذا هو الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات» (١بط١: ٤).

-٧-

لو أطلق لفظ بكر على شخص واحد لكان هو شخص المسيح: بكر الأبكار - الآخرون أبكار أعضاء جسده: الكنيسة... الجميع ممتازون.. كاملون ممجدون..

لكنه هو بكرهم. وإن كان التفاضل فليس بين بعضهم البعض من حيث البكورية (رغم أن نجماً يمتاز عن نجم في المجد). بل التفاضل بينه هو وبينهم هم.. هو بكرهم سيدهم.. ربهم. إن نعمة الله قدمتهم.. لكنها لم تقدمهم عليه، ولا يساوونه - وصحيح أنه خدمهم. بل غسل أرجلهم، لكنه هو الرب (لو٢٢: ٢٧، يو١٣: ١٣ و١٤).

وصحيح أنه جعلهم ملوكاً وكهنة، لكنه هو ملك الملوك، وهورئيس الكهنة. والملك له هو.. لكنه في غنى نعمته قد أشركنا معه تحت رياسته. والكهنوت له هو لكنه فتح لنا باب الدخول بثقة إلى عرش النعمة. الدخول إلى الأقداس. ومكانه كابن بين الأبناء - «إخوة كثيرين». لكنه هو بكر، مكانه الأرفع. ولا رفقة لغيره إلا بعطية منه هو.

هو البكر - الآخرون أبناء مشابهون صورته: هو آت بأبناء كثيرين إلى المجد. لكنه هو المجيد الوحيد - الإله الحكيم الوحيد مخلصنا (يه ٢٥).

نالوا مقام شعب الله البكر.. وهو بكرهم.

عزيزي القاريء.. لقد وُعدت بمجد عظيم، ولكن أعط مجداً لله.. صاحب المجد الذي هو لك.رفعك.

لا ترتفع لئلا توضع (لو١٤: ١١، انظر ع٩: ١١)

لا تفتخر كأنك لم تأخذ (١كو٤: ٧).

ختام

من هو البكر؟

دعك من بكر الجسد المولود الأول.

دعك من المختار - حسب الجسد.. قد رُفض.

البكر هو الرب وله وحده يخضع الجميع. لكنه أعطاك أن تكون بكراً، ذلك إن آمنت.. خلصت. صرت ابناً لله.. صرت ملكاً وكاهناً. صرت شريك المجد والميراث مع الرب.. لك شرف أن تكون شريك الطبيعة الإلهية.

ما أعظم ما أعطي لك.. فلا تفرط في إيمانك، ولا تتزعزع في موقعك. لا يجوز أن تهزك أعاصير هذا العالم. لا تبع بكوريتك.



السيد المسيح هو محور الكتاب المقدس، وهو الذي تدور حوله كل نبواته ورموزه. ومن ثم فكل كلمة وردت بالكتاب المقدس عن السيد المسيح لها معناها ومغزاها، وكل لقب من ألقابه له دلالته وأهميته.

ولقد قال الكتاب عن السيد المسيح إنه «البكر»، «بكر كل خليقة»، «البكر من الأموات». فما المقصود بهذه الألقاب؟ وما هي مدلولاتها اللاهوتية والكتابية؟ بل وما هو المقصود أيضًا بكنيسة أبكار؟

هذه الأسئلة، وغيرها الكثير، مما يثار حول هذا الموضوع اللاهوتي يتناولها الكتاب ايضاحًا وشرحًا وتفسيرًا، وعلى هذا فإن الكتاب دراسة لا يستغني عنها أي دارس أو باحث بل وكل من يقرأ الكتاب المقدس.

دار الثقافة



